الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل-
كلّيّة الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

أثر السياق في ترجيح دلالة النّص لدى الزّمخشري -الكشاف أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة:
✓ سارة قندوز

تحت إشراف:
د/عباس حشاني

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
بشير أعبيد	أستاذ محاضر أ	رئيسا
عباس حشاني	أستاذ محاضر أ	مشرفا
نور الدين سعيداني	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1442هـ-1443هـ /2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

خلق سام، همة عالية لا تحد آفاقها حدود، ومعين من العلم والكرم وتواضع لا ينضب، وفيض من الحب الصادق، ورعاية دائبة لا تعرف الملل، فإذا كان من كمال الفضل شكر ذويه، فإننا نجد أنفسنا عاجزين عن تقديم الشكر لأستاذنا الكريم الدكتور عباس حشاني الذي أبدا حماسه للموضوع وتبناه ورعاه، فإليه نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان، كما أوجه شكري الخالص لقبول أعضاء اللجنة قراءة وتقييم هذا العمل المتواضع.

إهـــــداء

إلى أمي ...

نبعا يتدفق حبا،

وعشقا يتجدد فرحا،

وشوقا يتطلع أملا

إلى أبي ...

من طوقني كرما،

وأغرقني حبا،

وأشع حياتي نورا

إلى الصوت والصدى،

وعطر الندى،

وفرح الشذى،

إخوتي وأخواتي عبد المالك، محمد الصالح، فتيحة، دلال، سماح

والكتاكيت أسيل وبراءة

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل، إلى من ذكره قلبي ونسيه قلمي ألف شكر وألف تحية، أهدي هذه المذكرة المتواضعة راجية من المولى عز وجل أن تنال القبول والنجاح.

سارة

مقدمـــة

مقدمة

الحمد لله الذّي جعل اللغة أداة للتّواصل، والصّلاة والسّلام على النّبي المصطفى أفصح ما نطق بالضاد وعلى أهله وصحبه خير العباد أمّا بعد:

منّ الله على الإنسان بالقدرة اللغوية التي تعينه على التعبير عن حاجاته الفكرية والنفسية، فالصراع القائم بين اللغة والعنصر البشري جليّ في جهود علماء اللغة والمفسرين، إذ من بداهة العقول تكون المعاني بنيات من المتكلم للمتلقي ليصنع منها دلالات تبوء اتفاقا واختلافا.

ولا جدال في أن هذه القضية قد شغلت اهتمام علماء العربية منذ نزول القرآن الكريم من خلال تفسير غريبه وتوجيه إعرابه وتقصّي أسباب نزوله وأسرار إعجازه ، فقد شكّل موضوع السّياق في إيضاح المعنى أهمية بالغة خاصة النّص القرآني، إذ كان مفسّره الأول الرسول صلّى الله عليه وسلم، لكن المستقبلين لذلك تغيرت زوايا نظرهم، وعليه، اختلفت مذاهب تأويلاتهم لبعض آيات القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾سورة آل عمران-07-.

ولما كان للسّياق قوة إنتاج فاعلة في المعنى يزيل اللبس عنه، قامت النظرية السياقية على دلالة المفردة التي لا تنكشف إلا في تراكيب لغوية، والتي إرهاصاتها غربية تزعمها "فيرث" بعد تدقيق له لمن سبقه من العلماء وخاصة العلماء المفسرين على رأسهم "جار الله الزمخشري" الذي حاول التفرد في فهم آي الذكر الحكيم حتى رست به الأمور إلى البيئة التي آمنت بالعقل والتأويلات المتلاطمة.

يعتبر تفسير الكشاف من أهم الثمرات التطبيقية التي طبقت نظرية النظم، فقد جاء ثريا بالبحث في دلالات المعاني صرفا، نحوا ولغة مع ما يلاءم الموضع السياقي التي وردت فيه ومدى تأثيرها على الدلالة التي تنحني لمنهج الزّمخشري في تأويلاته.

ويرجع السبب في اختيار الموضوع لعدة أسباب أبرزها الرغبة الشخصية في دراسة موضوع أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزّمخشري، مع ضرورة استمرار عملية البحث في نفس التّخصص، إضافة إلى اهتمامنا بمعالجة كهذه وتقصية لفهم معنى القرآن الكريم واختلاف القراءات القرآنية وعدم ثبوت معناه لدى علماء اللغة العربية والمفسرين خاصة، سيما كان سعيا منا لكشف التّلاحم الوثيق بين السيّاق والمعنى والظواهر النحوية في استقصاء دلالة اللفظة أو الجملة، والنّص على حدّ سواء، وأيضا ليكون إطلاع من يجهلون أن القرآن وحدة لغوية

متكاتفة بعين بعضها البعض في كل المواقف والمواضع النحوية والدّلالية، فالسّياق هو عماد تيسير إيضاح الدلالات.

بالنسبة للدّراسات ذات الصّلة بهذا الموضوع فهي ليست معدومة، زاوية النّظر فقط هي التي تختلف بين دراسة وأخرى من بين ذلك دراسات لغوية في كتاب الزمخشري وأيضا تم تقديم قراءات نحوية حول كتاب الكشاف، وأمام هذا التصور الموجز إلى إشكاليات قائمة على النّحو التالي:

ماهو مفهوم السّياق والدّلالة؟ كيف تجسدت صورتهما لدى العلماء العرب والغرب؟ وهل كان لحضوره ضرورة في تبيان الإعجاز القرآني وتقصي معانيه وأسراره؟ وما فعاليته في ترجيح دلالة النّص لدى الزّمخشري؟

وأما عن المنهج المتّبع في تناولنا لهذه الدّراسة، يمكننا القول أنّ طبيعة الموضوع فرضت اعتماد المنهج الوصفي التحليلي ومنها المنهج الوصفي الذي من خلاله تناولنا تعريفات لأهم المفاهيم والمصطلحات والتحليلي استقينا عن طريقه تفصيلات أكثر في شرح السّياق وتحديد أنواعه، وعليه سارت دراستنا وفق خطّة تضمنت فصلين على النّحو الآتي:

الفصل الأول تناولنا السّياق ودلالة النّص من خلال التعرض للسّياق، الدلالة، النّحو وتظافر عناصر النّص والقصدية والإبلاغية.

أما الفصل الثاني المعنون ب "أثر السّياق في ترجيح دلالة النّص لدى الزمخشري" كان على شكل تطبيقي لأجل الدّراسة والتحليل لبعض النّماذج التي تخدم موضوعنا من ناحية ومن ناحية أخرى لنفيد ويستفيد منه غيرنا فكان محتواه: التّطرق للسّياق والدلالة على اختلاف أنواعها لدى الزّمخشري والنّحو لديه مع توظيف عنصر تظافر النّحو والدّلالة في خدمة السّياق.

وفي الأخير خلصنا إلى خاتمة مفادها نتائج توصلنا لها من خلال هذا البحث، ومن الصعوبات التي واجهتنا منها:

- صعوبة تحديد السياق وحدوده.
- كثرة المراجع والمصادر التي تجعل الباحث يتيه أحيانا.

- تشعب موضوع البحث وامتداده مما صعب الالمام به.
- الأسلوب الصعب والغامض في بعض الكتب.
- صعوبة التحكم بأسلوب الفنقلة الواضح في ثنايا كتاب الكشاف، وفهم فكره الاعتزالي.
- اختلاف رؤية المفسرين ما أدى إلى اختلاف قراءاتهم وتعدد المعاني.

في الأخير نحمد الله عزّ وجل على منحه لنا الإرادة والقوة لاستكمال هذا البحث بالرغم من كل الصعوبات التي واجهتنا ولم تقف عائقا أمام انجازنا هذا العمل بعد أن تجاوزنها بفضل الله، ثم توجيهات مشرفنا الأستاذ والدكتور: عباس حشاني الذي كان لنا خير سند ومرشد من بداية بحثنا حتى نهايته، والشكر والتقدير كذلك موصولان لأعضاء لجنة المناقشة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الفصل الأول:

السياق ودلالة النص

1- السياق Context

2- الدلالة Semantic

3- النّحو Grammar

4- تظافر عناصر النّص

5- القصدية والإبلاغية

يعتبر عدم ثبات تحديد مفهوم السّياق صعب لاختلافه لدى كلٍّ من العلماء والدّارسين؛ لكونه قرينة* فعّالة لدراسة المعنى الدلالي في التراكيب(اللّغوية،السياقية).

1- السياق Context:

- **لغة:**

ورد مفهوم السياق في **لسان العرب:"يقال له السّياق و أصله سواق فقلبت الواو لكسرة السين وهما مصدران من ساق يسوق"** [1]، ومن **"السوق ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقاً، وهو سائق وسوَّاق شديد المبالغة"**[2].

وجاء **في القرآن الكريم** قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾[3]. قيل في تفسيرها سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها، وقيل شهيد هو عملها نفسه.

وجاء في **معجم تاج العروس:**

من المجاز **"ساق المريض يسوق سوقا وسياق...وساق بنفسه نزع بها عند الموت"**[4].

وأورد ابن فارس في معجمه تفسير مادة سَوق:**"السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حذوُ الشيء يقال سُقت إلى امرأتي صَداقها وأَسقته والجمع أسواق"**[5].

نستنتج من الأقوال السابقة أنَّ معاني السياق تقوم على التّتابُع والاستقامة والانقياد.

---

*- القرينة، "دلالة مأخوذة من اللفظ أو المعنى ويكون المدلول بها لا غيره من المراد، فهي عندهم رد للدلالة اللفظية أو المعنوية التي تمحص المدلول وتصرفه إلى المراد مع منع غيره من الدخول فيه"، محمّد سمير نجيب، معجم المصطلحات النّحوية والصرفية، ص:186.

[1]- لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 1863م، ص:247.

[2]- المصدر نفسه، ص:248.

[3]- القرآن الكريم، سورة ق، الآية:21.

[4]- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي،ج25، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007م، ص:30.

[5]- مقاييس اللغة، أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا،ج6، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، ص:235.

- **اصطلاحا:**

السياق مفهوم واسع يتميّز بالمرونة والتعددّية، لذا قد تناولته عدّة دراسات لديمُومة حضوره والمستعمل على مستوى النّصوص أو الجُمل، و"**يعد هو ما قد يطرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ، والدلالات في الزمان المتتابع بين العصور، وفي المجالات المختلفة من علمية اجتماعية وفنية، فالكلمة تكتسب أبعاد جديدة، أو تُحصر في إطار خاص، أو تنتقل إلى مواقع لم تألفها من قبل**"[1]. من هنا يكون التغير الدّلالي للكلمة مرتبط بموقعها في التراكيب اللغوية التي وضعت فيه، مع مراعاة أحوال المتخاطبين نفسيًا واجتماعيًا، وعلى هذا النّحو تكون مباحث السّياق في كلّ تفرُّعاتها حاضرة فنيًا وفي مواقفنا الكلامية الخاصة والعامة.

ويتكون مصطلح السياق(**context**) من مقطعين، من السابقة اللاّتينية(text) التي تعني النّص، و(con) بمعنى مع، وهذه الأخيرة تعني المشاركة أي وجود أشياء مترابطة فيما بينها توضح النّص، وهي فكرة تتضمن أمُورًا أخرى تُحيط بالنّص كالبنية المحيطة[2].

وعليه، فمفهوم السّياق يقوم على استعمالين:

أولا: ارتباط السّياق بالمحيط اللغوي الذي تنتظم عليه المفردات وتساهم في فهم دلالة الجملة، ووضّح ذلك اللغوي العربي **تمام حسان** في حديثه عن السياق "**المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات، فإذا اتضحت وظيفة الكلمة فقد اتضح مكانها في هيكل الأقسام التي تنقسم الكلمات إليها**"[3]. أي السياق هو السبيل الوحيد الذي يتحدّد عليه المعنى في الحالة التّخاطبية و كذا حمل معنى الكلمة في قول بمعزل عن الكلمات الأخرى فتؤدي وظيفتها آليا للقارئ.

---

[1]- علم الدلالة العربي النّظرية والتطبيق(دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية)، فايز الداية، دار الفكر، ط2، بيروت-لبنان، 1996م، ص: 22.

[2]- ينظر: علم اللغة النّصية بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ص: 108.

*- نسق تركيبي، هو تنظيم تركيبي لمجموعة من الأبنية لإجراء أدائي لوظيفة على اختلاف نوعها نسق تربوي لبلوغ نتائج محتمة.

[3]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، دط، 1979م، ص: 233-234.

هذا ويُعرِّفه **ستيفن أولمان Stephen Ullmann** بقوله:"**كلمة سياق context قد استعملت حديثا في عدّة معاني مختلفة، والمعنى الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم**"[1] .

وعليه فهو يتشكل من مجموعة ألفاظ ذات معاني و أدوات جامعة بينها كأدوات الربط، التي يغذو بها كلامنا بليغا منظوما نظما جميلا فالعبرة في الأخير تكمن من حسن اختيار المعنى والألفاظ بحيث تخدم القصد المراد إيصاله لقلب السّامع قبل سمعه.

ثانيا: الذّي يُدقق فيه ضمن الطّرح التداولي، ويضم الظُّروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي.

من هذا المنطلق يذكر **محمد بشر** في حديثه عن السياق" **المقام في نظرنا ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها بحجز البعض**"[2]. ومن ثمّ السياق حسبه مرتبط بدراسة اللغة في مقام استعمالي للألفاظ حين صدور موقف تواصلي تخاطبي.

وفي نفس الصّدد يقول **جون ديبوا Jean Dubois**:"**السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تُؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والمعلومات الشائعة بينها**"[3]. من هنا فهي تشمل كل القواعد اللاّبد مراعاتها في معالجة العلاقة بين السلوك الاجتماعي عند توظيف اللغة التي تربط طرفي الخطاب في العمليّة التّواصلية.

---

[1]- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: كمال محمد بشر، دار غريب للنشر، دط، 1835م، ص: 06.

[2]- ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971م، ص: 23.

[3] -Jean dubois , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, larousse 2éme edition, 1999,p :116 .

*- القصدية، تستخدم للدلالة على توجّه الوعي نحو موضوعه أو نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون ظاهرة ما، ينظر: الموقع الالكتروني: www.aljabriabed.net/n16_07azinl.(2).htm، تم التّفحص يوم: 2022/04/22 على الساعة 23:40.

نستنتج في الأخير أنّ مفهوم السياق يقوم على معطيات لغوية وغير لغوية في إنتاج التراكيب اللّغوية، وهنا جديرٌ بنا لنشير أنَّ السِّياق يشكّل نسقًا من العناصر اللّغوية التي تغذّي المتلقي بطرائق استيعاب الخطاب اللغوي وفك شفرة النّص وتأويله وفهمه فهمًا صائبًا.

ب- أقسام السياق:

السياق هو عصب دلالة مفردة تفكيرية وفطرية يعمل على بيان المعاني الواجب فهمها. وعليه، فدراسته تتطلب فهم اللفظ وما جاوره من الجمل للوصول إلى النّص وبلوغ القصدية*، ومن هنا فقد عَرَف السّياق في العصور السابقة انشغال الدارسين به خاصة علماء اللغة والبلاغة أيضا، والأهم من ذلك أثره في دراسة السِّياق القرآني وتحقيق الفهم النصِّي التكاملي له. وعلى هذا الأساس عرف السياق أنواع منها: **السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف، السياق الثّقافي** على الوجه الآتي:

1- السياق اللغوي Linguistic context:

هو سياق وظيفي يحتكم إلى كيفية توظيف الكلمات ضمن سياق الجملة، حتى تساوي حصيلة الكلمات الأخرى، فالمعنى الذي يحصِّله هذا النّوع من السياق محدّد بما ترد فيه اللّفظة من الاستعمال. ومن ثمَّ فالسياق اللغوي" **نمط من أنماط السياق العامة، اعتمد عليه كأداة إجرائية في تحليل النّصوص، ويتم ذلك بالتحليل اللغوي للنص اعتمادا على تحليل كل مستوياته اللغوية، وكل ذلك بغية الوصول إلى المعنى العام الذي من أجله تم إنتاج هذا النّص"**[1].

من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أنَّ أثر السياق يعمل على تحديد معنى النّصوص عند وضع العناصر اللغوية في سياق معيّن، والرّابط بين أجزاء النّص، وكذا مؤهل لإيضاح دلالة الوحدة اللغوية.

[1]- أثر السياق اللغوي في توجيه معنى النص، فضيلة خضار، مخطوط ماستر، تخصص: علوم اللغة العربية، إشراف: هاني بوعسلة، القسم:اللغة والأدب العربي، جامعة: العربي بن مهيدي، ولاية: أم البواقي، الجزائر، السنة: 2011-2012م، ص:32.

2- السياق العاطفي Context émotionnel:

سياق يعتمد على المتكلّم لإبراز العاطفة والذي يحدّد صيغة توظيف الكلمات على شقين: دلالة موضوعية(عامة)، دلالة عاطفية(خاصة)، ويبرز هذا النّوع عن طريق الأداء الصوتي للكلام المتعلق بدرجة القوة والانفعال. من هنا السيّاق " **يحدد درجة القوة والضعف في أفعال المتكلم بما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا** "[1].

مِمَّا تقدّم يتّضح أنّه نوع يحدّد طبيعة استعمال الكلمة موضوعيا وعاطفيًا، يقول **مايه Mayih** واللفظة **" لا تحمل معنى عقليا فحسب بل تحمل أيضا في الغالب لونا من ألوان الإحساس فكلمة جُنينة ليست فقط حديقة صغيرة، ولكنّها حديقة صغيرة لها في النفس حنو، وكلمة قصر ليست فقط منزلا واسعا بل يضاف إلى ذلك إحساس وإعجاب تشعر به نحو مقر الأمراء"**[2]. معنى ذلك أنّ اللّفظ الواحد لا يحمل معناه الظّاهر الذي يتكون في الذّهن بل يتجاوز ذلك أن يُحمل لقلب السّامع.

وعليه فالسياق العاطفي هو ما ارتبط بطريقة الكلام وأدائه دون إغفال حالة المتكلم النّفسية؛ لأنَّ طريقة أداء الكلام كافية لتزويد التراكيب بمعاني انفعالية متعددة ناجمة عن العاطفة.

3- سياق الموقف Context situationnel:

سياق يهتم بالزمكان الحاصل فيه الكلام مع مراعاة مقام المقال الذي قيل فيه، فحسب فيرث سياق الموقف حقل من العلاقات؛ أي الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة. نحو: **"يرحم"** في **مقام تشميت العاطس** يرحمك الله في الدّنيا، والله يرحم فهي في مقام الترحم على الميت في الآخرة بالرغم أنّ الرحمة في الدّنيا و الآخرة[3]. ومنه الدلالة تختلف تبعا لاختلاف سياق موقف الكلمة الذي وضعت فيه وحسب الحاجة من ذلك.

---

[1]- الألسنية التّوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، زكريا ميشال، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ- 1986م، ص:71.

[2]- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين، تونس، دط، 1986م، ص:201.

[3]- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص: 71.

كما أنَّ سياق الموقف ثلاث عناصر نضرب أمثلة على ذلك في الفعل(**أكل**):

- الأثر اللغوي في قوله تعالى: ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾[1]. وفي هذه الآية جاءت بمعنى الغيبة؛ لأنَّ في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلاَّ بعد نظر وتأمّل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة ما استشعار للتّقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظّن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل...[2].

- الأوضاع الاجتماعية في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[3]. وهي هنا بمعنى الافتراس أي خوفه عليه من عدوة الذّئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم، ومن ناحية أخرى ذهابهم به ومفارقته إياه ممّا يحزنه، لأنّه كان لا يصبر عنه ساعة [4].

أما العنصر الثّالث وهو الأهم ما تعلَّق بشخصية الملقي والمتلقي، في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ**﴾[5]. هنا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرّسول سخرية منهم، أي إن صحّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد للأسواق طلبا للمعاش كما نتردّد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش[6].

وعليه فسياق الموقف له معيارين الأول المقام وهو الموقف أو الحال، والمقال هو النّص الذي يوضّح مدى تأثيره في الفهم والأخذ بعين الاعتبار المواقف المصادفة عند حدوث الكلام.

---

[1]- القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية : 12.

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج5، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م، ص: 580.

[3]- القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 13.

[4]- الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، ج3، ص: 260.

[5]- القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية: 07.

[6]- الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، الزمخشري، ج4، ص: 333-334.

4- السياق الثقافي Context Culturel:

يحدد المحيط الثقافي والاجتماعي لأثره في نمط التفكير والسلوك اللغوي لاستخدام الكلم فمفاهيمه تختلف باختلاف الطبقات، دليل ذلك مثال **أحمد مختار عمر " كلمة جذر يختلف تفسيرها تبعا لاختلاف الطبقات، فنرى مثاله هذا لفظيا وليس سياقيا، فلو وضعنا الكلمة في سياقها لكان مفهومها متفقا رغم اختلاف الطبقات، لأنّ السياق تتخللّه القرائن، كما أنَّ اللفظ مشترك على أية حال، فكيف يفهم بِدلالته اللفظية"**[1]. فدلالتها قابلة للتّعدد بحسب الاستنباط من سياق الأحاديث الكلامية ومن ثمّ ربط الكلمة بما تم تلقيه من معاني من الخبرات والتجارب وعليه تتم عملية التأويل.

وعليه فالسياق الثقافي عبارة عن مكوّنات ثقافية اجتماعية محصورة في مجملها ضمن بيئة تنصَّب على عاتق تفكير المتكلم ثم سلوكاته فالتَّمييز بين الدلالات مرهون بالواقع.

ج-السياق عند العلماء العرب:

عَرَف السياق اهتمام العلماء العرب به فأولوه عناية على اختلاف اتجاهاتهم، لما له من تأثير على المعنى والفهم النصي، إذ عُرفوا بإسهاماتهم التي لا تقل شأنًا وفَعامة عما قدّمه علماء الغرب، إذ هناك مباحث لا يغفل عنها من علوم اللغة العربية للانطلاق منها عندهم كأصول الفقه، البلاغة...

وتماشيًا مع ما تم ذكره فمصطلح السياق عند الأصوليين قد اعتُمد بشكل واضح في دراساتهم لارتباطه بقضية التأويل، وبما لا يدع مجالا للشك نظرتهم للوحي والقرآن الكريم والسّنة، ومن البديهي أن تكون البداية الأولى على يد **محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)** الذي أشار لقضية سياق النص بقوله:" **فلقد رأى**

[1]- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 57.

الأصوليين أنّه لا معنى من دون سياق، ولا تأويل من دون اعتبار له"[1]. هكذا يتبين أنّ هناك علاقة تكاملية بين المعنى والسيّاق للبحث عن المعنى المراد؛ فكلّ صيغة مقيدّة بقرائن مقالية أو حالية.

ويؤكد **ابن تيمية** بقوله:" **السِّياق هو الذي يحدّد معنى اللفظة"**[2]. وعليه فإنَّ المعيار المعتمد في تقسيمات الأصوليين للنّصوص يكمن في مدى وضوح الدلالة أو ظلالها، وهذه الأخيرة تفهم من ظاهر اللفظ أو على حسب اختلاف القرائن السياقية الأخرى.

نافلة القول بحوث الأصوليِّين جاءت من حديثهم عن السياق جرَّاء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعماله وإدراك مقاصده وما يطرأ على الألفاظ من تغير لدلالاتِها على اختلاف موقعها السياقي فاللفظ المفرد يصلح لمعانٍ مختلفة.

نستنتج في الأخير أنّ الأصوليين اهتموا باللغة عند حديثهم عن المسائل اللغوية التي وجدوا عن طريقها عدة دلالات على اختلاف سياق القول، وقد اعتمدوه في بيان معاني النُّصوص الشَّرعية، والأثر الذي يتركه في ترجيح دلالة النّص القرآني.

من زاوية أخرى فقد ركَّز البلاغيين في النظرية السيّاقية على العلاقة القائمة بين المقام والمقال وفكرة مقتضى الحال هو اهتمام جاء من طرف علماء علم المعاني، فعملوا على تفسير ذلك دائما بما يتطلّب التّذكير بالسيّاق مقاميًا أو مقاليًا، يقول **الخطيب القزويني (ت739هـ)**: **"بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، فمقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير مُباين لمقام التعريف، ومقام الإطلاق مباين لمقام التقييد، ومقام التقديم مباين لمقام التأخير، ومقام الذّكر مباين لمقام الحذف، ومقام القصر مباين لمقام خلافه، ومقام الوصل مباين لمقام الفصل، ومقام الإيجاز مباين لمقام الإطناب، وكذا**

[1]- الرّسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، دط، دت، ص: 60.

[2]- السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية التراثية، مراد حاج محند، ج1، مح:مصطفى درواش، الجزائر، ط1، دت، ص: 58.

خطاب الذكي مباين لخطاب الغبيّ"[1]. ومنه هذا القول الأقرب والأحسن إلى مراعاة البلاغيين للمقامات والأحوال التي تكتنف الخطاب؛ لأنَّ المقام هو الذي يحدّد صورة القول الأنسب والأبلغ الذي يمنح الجمل قوة وتأثيراً و يحقق المراد لكلٍّ من المخاطَب والمخاطِب.

ويذكر البلاغيين في حديثهم عن أهل علم المعاني: **"علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللّفظ مقتضى الحال"**[2]، أي أن تطابق صفات الألفاظ مع أحوالها كالحذف والذكر، التقديم والتأخير وغير ذلك تكون مبرهنة بالأحوال.

وانطلاقا ممّا سلف فإنّنا نجد البلاغي **عبد القاهر الجرجاني(ت474هـ)** خصّص كتابه **"دلائل الإعجاز"** لمباحث علم المعاني والتي عرفت معالجته فيه لفروع هذا العلم باسم نظرية النظم التي قدّم فيها منهجا لدراسة النّص الأدبي على أنّه بناء لغوي، وبطبيعة الحال فالنّظم عنده يُعنى ببساطة البناء اللغوي للجملة وفق ما يقتضيه المعنى في قوله النظم **"أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها"**[3]. ومنه مفهوم النحو عنده يشمل مراعاة أحوال أواخر الكلمات إعرابًا، بناءًا، معرفة الخواص التركيبية للعبارة، تركيب الجملة وتأليفها وفق ما يقتضيه المعنى.

بالتالي إذا نظرنا إلى المقال أنّه يمثل السّياق اللغوي فإنّنا نجد **الجرجاني** قد ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي و التركيب الذي وردت فيه فيقول: **"وجملة الأم أننا لا نوجب الفصاحة لِلَفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها"**[4]. أمّا إذا ما نظرنا مرة

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص: 80.
[2]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط1، 2003م، ص:259 .
[3]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة، ط2، 1989م، ص: 81.
[4]- المصطلحات البلاغية والنقدية، أبي هلال العسكري، دار دجلة، عمان- الأردن، ط1، 2015م، ص: 27.

أخرى للمقام أنّه سياق الموقف وجدناه كذلك واضحا عند البلاغيين، فالجرجاني يربط أيضا الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله وهو جوهر معالجة المعنى اللغوي بالنسبة له المنبثق من نظريته في النّظم.

في مقام موالي ذهب الجاحظ لأصناف الدلالات عن معاني من لفظ وغير لفظ خمسة أضرب "**أوّلها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة**"[1]. وعليه هناك صنفان يتباينان مع موضوع السيّاق:الإشارة، النّصبة* ذو صلة بالمقام، أما فيما يخص علاقتهما باللفظ فهي زيادة للفهم يقول الشاعر في دلالة الإشارة:

أشارتْ بطرفِ العينِ خِيفةَ أهلهـا إشـارةَ محزونٍ ولم تتكلَّـم

فأيقنتُ أنَّ الطرفَ قد قالَ: مرحباً أهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيَّمِ[2]

وقال آخر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها مـــن ودّ أو بـغض إذا كـــانـــا

والعين تنطق و الأفـــواه صـــامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانَا[3]

يتضّح أنَّ الإشارة قد تبلِّغ مالا يتمكّن منه اللفظ لكن بشرط مصاحبة الحدث الكلامي فهيَّ تعوّضه إن عجز المتكلَّم عن إفهام السَّامع.

خلاصة القول البلاغيين العرب يدعمون الحدث اللغوي لإبراز المعنى دون أن ننسى ما يبينه في حالتي المتكلم والسامع في الكلام، طبيعة الخطاب و الظروف الاجتماعية كل هذا ذكروه في مؤلفاتهم وأحسنوا سرده فحسبهم لابد أن يسبق المقام المقال لأنَّ الكلام يُصاغ بمقتضاه.

---

[1]- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج1، تح: علي أبو ملجم، دار الهلال، بيروت، ط1، 1988م، ص:81.

*- النّصبة: علامة لغوية خاصة لا تتشكل من دال ومدلول، بل مدلول فقط وهي معاني لانهائية، اتّساعها يحوّل وظيفتها الدلالية في التّعبير إلى وظيفة ميثافيزيقية.

[2]- ينظر الموقع الإلكتروني: https://www.aldiwan.net/poem41824.html ، تم التفحص يوم: 2022/03/10، على الساعة: 22:30.

[3]- البيان والتبيين، الجاحظ، ص: 79.

بالنّسبة للصّنف الثالث النّحاة فقد نال السّياق اهتمام كبير من طرفهم حين تحدّثوا عن بعض الظواهر النّحوية نحو: باب المنصوبات، **يقول ابن يعيش(ت643هـ): " المصدر ينتصب بالفعل وهو أحد المفعولات وقد يحذف فعله لدليل الحال عليه، وهو في قولك ثلاثة أضرب منها ضربي يحذف فعله ويجوز ظهوره فأنت فيه بالخيار إن شئت أظهرته، وإن شئت أضمرته. وضرب لا يجوز استعمال فعله ولا إظهاره. وضرب ليس له الفعل ألبتة"**[1]. من هنا ارتباطُ نصب بعض المصادر بمتعلّقات استعماليه لها علاقة بالسّياق.

وممّا لاشك فيه النّحاة ناقشوا السيّاق وأبرزوا قيمته في أبواب نحوية، في هذا الصدّد أشار له **سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ)** بقوله:" **فمنه مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ وسآتيك غدا وأمّا المحال فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، أما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر"**[2].

من هذا المنطلق السّياق عنده يتلاحم بشقيه اللغوي والموقف للرقي بالمعنى في أحسن صورة من اللفظ دون إغفال جانب زمان الكلام الذي قيل فيه لأنه عنصر من عناصر سياق الموقف.

كما ويعد **أبو البركات الأنباري(ت328هـ)** من النحاة المؤكدين على أهمية السيّاق وهذا الاهتمام انصبّ في قالب كلامي " **أنّ كلام العرب يصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلاَّ باستيفائِه، واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد به في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد"**[3]. ومنه طبيعة كل من الفصحى والعربية لغة تصوب نفسها وتعالجها فهي لغة ولود مرنة ومطاوعة كما أنّ اللفظة لها ضد أو أكثر حتى يختص كل ضد لمعنى في خطاب مناسب.

[1]-شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النّحوي، ج1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط1، دت، ص: 278.

[2]- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ج1، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص: 25-26.

[3]-الأضداد، أبو البركات الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، 1407هـ-1987م، ص:20.

نستخلص في الأخير أنَّ النحاة قد استحضروا عناصر سياق الحال في توضيح كيفيات الإنتاج الكلامي وضبط مقاصده إذ أشاروا إلى المخاطِب والمخاطَب والعلاقة بينهما، كما ذكروا أسباب التَّلفظ بالقول واستخلاص ذلك من قضاياهم النّحوية التي ركزوا فيها على سياق الموقف الخارجي كقضية الحذف.كما عملوا على توضيح دلالات القول، أي ربط الإنتاج الكلامي ككل بالمعطيات اللسانية وغير اللّسانية التي تسهم في ضبط الوظائف المقصودة.

د- السياق عند علماء الغرب:

استحوذ السياق على انتباه علماء الغرب فقد أولوه عناية كبيرة ؛ إذ لا معنى لعلامة لغوية خارج سياقها، حتّى جعلوه ذو نظرية قائمة بذاتها والتي كانت على يد **جون فيرث J .firth** الذي تناولها بنظرة أنّها نظرية دلالية قابلة للتّوسع لدراسة المعنى في إطار موقف كلامي بالتّركيز على النّاحية الاجتماعية، ومن بين العلماء الذين سبقوه.

وتماشيا مع ما تم ذكرنا له يعرف **فيرديناند دوسوسير F.Saussure** السياق بقوله:" **الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق أو كليهما معًا "**[1]. ومنه موقع الكلمة في سياقها لا يكفي للدلالة على معناها الحقيقي فوجب ربطها بما سبقها ويليها من تراكيب لغوية لأداء وظيفتها الإبلاغية.

من ناحية أخرى يُبيِّن **جورج فندريس Vendryes** أهمية السياق بقوله: " **تزوّد كل كلمة لحظة استعمالها تزويدا تامًا بقيمة وقتية تُبعد جميع القيم الناتجة عن الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها**

[1]- الأضداد، أبو البركات الأنباري، ص: 34-35.

الكلمة"[1]. ومن هنا يشير أن دلالة الكلمة استعمالا في السياق يمنع تعدد المعاني وأنه العامل الحاسم لتحديد المعنى المراد.

أمّا **جون لاينزLyons . J** في تعريفه له: **"معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق وأن الوحدات الكلامية يمكن تفسيرها على أساس مقدار كبير من المعلومات السياقية المفهومة ضمنيًّا في أغلبها"**[2]. أي وضوح الكلام، غموضه وتناسقه يعتمد على السياق في حدّ ذاته فاستيعابه يكون بما هو ظاهر.

وفيما يخص أهم العلماء الغربيين الذين اهتموا بالسياق فمعنى الكلمة عنده تكمن **"في طريقة استعمالها أو الدّور الذي تأدّيه"**[3]. وعليه يصرّح أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من وضعه في سياقات مختلفة فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسّياقات والمواقف بموجب أنَّ سياق الحال تعدَّى إلى دراسة لغوية، صوتية، صرفية، نحوية ومعجمية لتكتمل الدراسة الدلالية.

نستنتج في الأخير أن السّياق بالنسبة للتحليل الدلالي عند الغرب يساهم في إزالة بعض الغموض وتعيين قيمة الكلمة ومن ثمَّ تِبيان معناها على اختلاف السّياقات التي ذكرت فيهم ، فتحديد دلالة الكلمة يرتبط بمجموع السّياقات التي ترد فيها مع التّركيز على الجانب السّياقي الاجتماعي في اللُّغة، ناهيك أنَّ معرفة المعاني ينطلِقُ من دراسة وملاحظة الوحدات الأخرى في الجملة أو النَّص.

1- الدلالة Semantic

سيطر موضوع علم الدلالة على علماء البلاغة واللغويين فإنجازاتهم العلمية سبيل حفظ أصالة اللغة العربية والقرآن الكريم من اللّحن، إذ بات تغير دلالات المفردات مرهون في اختلاف السياقات التي وضعت فيها

[1]- اللغة، جون فندريس، تع: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م، ص: 45.

[2]- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص: 50.

[3]- المصدر نفسه، ص: 64.

والتراكيب اللغوية. هذا ولا ننسى أنَّ دراسات المعاني الأولى كانت مع الهنود قديما و كذلك اليونان مع أفلاطون وأرسطو في تبيان العلاقة بين المفاهيم والدلالة.

أ- مفهوم الدلالة:

- **لغة**

يرد مفهوم الدلالة في اللغة بمعانٍ عدّة منها ما ورد في القرآن الكريم في قوله: ﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1]. **أي أرشدهما إلى الأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فإشارة الشيطان دال والمفهوم الذي استقر في ذهنه وزوجه وسلكا وفقه هو المدلول أو محتوى الإشارة فبالرمز ومدلوله تمت العملية الإبلاغية بين الشيطان من جهة وآدم وزوجه من جهة ثانية**[2].

وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**﴾[3]. **فلولا الشمس ما عرف الظل فالشمس تدلُّ على وجود الظِّل فهي شبيهة بعلاقة النار بالدخان الذي يورده علماء الدّلالة**[4].

وهذا قد وافق ما ذهبت إليه جل المعاجم العربية فقد ورد مفهوم الدلالة في **لسان العرب**:"**الدليل ما يستدل به والدليل الدال، وقد دلَّه على الطّريق يدله دلالة بفتح الدال أو كسرها أو ضمها والفتح أعلى**"[5].

وجاء في **معجم الوسيط** لفظ "**دلَّ**" بمعنى" **الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه**"[6].

---

[1]- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: 21.

[2]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ج13، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرّياض، دط، 1423هـ-2003م، ص: 37.

[3]- القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية: 44.

[4]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 120.

[5]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، ص: 394-395.

[6]- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، بيروت، ط4، 2004م، ص: 40.

بالتالي تجمع المعاجم اللغوية في الأصل اللغوي لمعنى الدلالة أنها تعني الهدي، الإرشاد والتَّسديد بالأمارة أو بأي علامة لفظية كانت أو غير لفظية.

- **اصطلاحا**

الدّرس الدّلالي في التراث العربي كان يدور في فلك علوم اللغة العربية لفهم معاني كتاب القرآن وهذا جلي بوضوح في ميادين مختلفة لدى علماء العرب القدامى الذين ركزوا على التّنظير في هذا الدّرس من بينهم: **أبو نصر الفارابي (ت339هـ)، الإمام أبو حامد الغزالي (ت505هـ)، عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ)، الشّريف الجرجاني (ت816هـ).**

1- أبو نصر الفارابي(ت339هـ)

اقتصر تفسير الدلالة عند الفرابي بعلمين من علوم العربية علم الفلسفة وعلم المنطق، وذلك جليٌّ في مؤلفاته في المنطق والفلسفة فمن بين المسائل الدّلالية التي بحث فيها هي:

أ-أ قسام الألفاظ باعتبار دلالتها:

اهتم الفرابي بالألفاظ وجعل من ذلك علم سمّاه "**علم الألفاظ**" الذي يعتبر في منظوره فرع من فروع علوم اللّسان التي شهدت تصنيفات وهي كالتالي: "**علم الألفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مركبة، قوانين تصحيح الكتابة، قوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر**"[1].

تقسيم الألفاظ حسب الفرابي

الألفاظ الدالة المفردة	قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة	قوانين تصحيح الكتابة	قوانين
الألفاظ الدالة المركبة	قوانين الألفاظ عندما تكون مركبة	قوانين تصحيح القراءة	الشعر

[1]-إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، 1991م، ص: 159.

وحسب **الفارابي** دراسة اللفظ لا يتم بمعزل عن الدلالة، فحسب عِلمي المنطق والفلسفة "**الألفاظ ودلالتها وجهان لعملة واحدة**"[1]. هكذا يتبيّن الألفاظ في كلا الحالتين مفردة ومركبة ترجّح لدلالات مفردة وعلى اختلاف أنواع هذه الأخيرة كل نوع يدّل على معنى مفرد. ويقول في سياق مقال آخر:"**اللفظة المفردة ذات دلالة مفردة ما يدل جزء على جزء معناه**"[2]. أي دلالته قابلةٌ للتَّجزئة .

ب- ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدالة:

تعدّ دلالة كل من **الاسم والفعل** واضحة، لكن يبقى دائما القسم الثالث **الأداة** يكتنفه غموض إذ **يقول الفارابي** في هذا الصَّدد في مقام حصره لاستخدام حرف"**ما**": "**يستعمل ما في السؤال عن شيء ما مفرد، وقد يقرن باللفظ المفرد والذي للدلالة عليه أولا وهو الشيء الذي جعل ذلك اللفظ دالاً عليه**"[3]. من هنا الحروف ليس لها دلالة على ذاتها وإنما في غيرها و فيما تشير إليه.

ويحدِّد **الفارابي** استعمالات لفظ **موجود** بقوله: "**الموجود لفظ مشترك يقال على جميع المقولات والأفضل أن يقال إنّه إسم لجنس من الأجناس العالية على أنه ليست له دلالة في ذاته**"[4]. ومنه الألفاظ لا تدلّ على ذاتها وإنّما على ما هو موجود في الأذهان.

ج- الدلالة محتواه في النَّفس:

العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه هو ميدان علم المنطق، لهذا نجد في هذا الصدّد مصطلح أطلقه **الفارابي** على المعاني التي محلها النّفس يقول:" **وأما موضوعات المنطق التي تعطي القوانين فهي المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات وذلك أنّ الرأي إنّما نصححه عند أنفسنا**

[1]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001 م، ص: 29.

[2]- إحصاء العلوم، الفارابي، ص: 10.

[3]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص:30

[4]- المصدر نفسه، ص: 115.

بأن نفكر ونروّي ونقيم في أنفسنا أمورا ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأي"[1]. فعناصر العملية التخاطبية المرسل والمرسل إليه هما اللذان يحدّدان مدى صدق موضوع الرسالة والتنقيب في ألفاظها والتعقيب عن ذلك بالرأي الصواب الذي يخدم الطرفان.

بالتالي النظرية الدَّلالية لدى الفارابي تدخلُ ضمن علاقة الألفاظ بالمعاني وخُضوعها لقوانين ميدان علم المنطق. وعليه، فعلم الدلالة يتجسد في منظوره تلك الكيفية التي تنتظم الألفاظ ومدلولاتها.

2- الإمام أبي حامد الغزالي(ت505هـ)

الدّلالة لدى **الغزالي** تركّز على الثّقافة الأصولية فقد استند في استنباط الأحكام من القرآن الكريم على أسس جبارة، كما نجده قد ارتقى في هذه المسألة من البحث عن ماهية الدلالة إلى جوهرها وفروعها، والدلالة عنده تشمل" **دلالة الإشارة، دلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولكل منها دلالات فرعية"**[2]. ويقول في تعريف دلالة الاقتضاء أنها: " **لا يدل عليها اللفظ ولا يكون منطوقا بها ولكن تكون من ضرورة اللّفظ"**[3]. وعليه هي دلالة تتم بطبيعة حال المتكلم الذي يُحتِّم أن يكون المتكلم صادقا في إعمال العقل للوصول إلى دلالة منطقية قابلة للتصديق. هذا ولا ننسى أنّه قسّم الألفاظ من حيث الإفراد والتركيب وجعلها ثلاث أنواع: ألفاظ مفردة، ألفاظ مركبّة ناقصة، ألفاظ مركّبة تامة، واللفظ المفرد عنده: **"هو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلاً حين هو جزؤه كقولك عيسى وإنسان، فإن جزئي عيسى هما "عي وسا" وجزئي إنسان وهما "إن وسان" ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا"**[4]. بالتالي اللفظ المفرد عنده عبارة عن مورفيم حر متكوّن من فونيمات إذا تم تقسيمها إلى أصغر من ذلك تصبح لا تؤدي معنى، أمَّا المركّب يدل كل جزء فيه على معنى.

---

[1]- إحصاء العلوم، الفارابي، ص: 167.

[2]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 132.

[3]- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ج1، تح: أحمد زكي حمّاد، دط، دت، ص: 187.

[4]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 33.

في نفس الصدّد جمع **الغزالي** عناصر الدلالة في قوله:" **إنَّ للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في اللفظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي هو في النفس والذي في النفس هو المثال الموجود في الأعيان**"[1]. و عليه عناصر الدلالة تنحصر في كل ما هو موجود في الأعيان، اللفظ، الأذهان والواقع أي العلاقة بين صورة في الذهن ثم مصطلح الدال على اللسان ثم وجود خطي بالكتابة لما في الذهن.

3- عبد الرحمان ابن خلدون(ت808هـ)

الدلالة عند ابن خلدون صاحب كتاب المقدمة قد تجاوزت البحث في ماهيتهاّ إلى البحث عن طرائق تأديتها "**واعلم بأنَّ الخط بيان عن القول والكلام، كما أنَّ القول والكلام بيان عما في النّفس والضّمير من المعاني، فلابّد لكلٍّ منهما أن يكون واضح الدلالة**"[2]. عليه يشترط في الخط والقول والكلام الوضوح لذلك يعطى للخط والكتابة بعدا مهما في العملية التواصلية الخطابية، فالخط كلمات تتلقى بالسمع دالة عما هو في نفس المتكلم والقول والكلام كذلك.

وممَّا لا شك فيه أنَّ ابن خلدون سار على نهج الغزالي في توضيحه للعلاقة الموجودة بين المعاني التي في النفس والكتابة والألفاظ. بالتالي الخط يحتل المرتبة الثانية لدى كل من العالمين ابن خلدون والغزالي في تأدية الدلالة اللغوية.

كما أننا نجد ابن خلدون في تعريفه للدلالة اللفظية يقول: " **إنّ في الكتابة انتقالا من صور الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النّفس فهو ينتقل أبدًا من دليل إلى دليل ما دام ملتبسًا بالكتابة وتتعود النفس ذلك فيحصل لها ملكة الانتقال**

[1]- المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ص: 46-47.

[2]- مقدمة ابن خلدون، العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ج2، تح: المستشرق كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، مجلد1، 1996م، ص: 509.

من الأدلة إلى المدلولات"[1]. من هنا الحروف الخطية عنده هي الصُّورة الصوتية وتقسيمها من مورفيمات إلى فونيمات.

اللفظ ⟵ قيمة صوتية ⟵ تصوّر في الخيال ⟵ المعاني الموضوع الخارجي[2].

نافلة القول ابن خلدون برؤيته لعلم الدلالة وتنظيره لهذا العلم وما وضعه من تقسيمات المعنى باعتبار الألفاظ وكذا تقسيماته للدلالة

2- الشّريف الجرجاني(ت816هـ)

تعتبر أعمال الشّريف الجرجاني في ميدان علم الدلالة ذات قيمة علمية ذلك لتمكّنه من التحليل. يقول في تعريفه للدلالة: " **هي كون الشيء بحالة يلزم العلم بع العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النّص وإشارة النّص واقتضاء النّص"**[3]. من هنا أقسام الدلالة تشمل الدلالة لفظية والدلالة غير لفظية وعلى اختلافها تختلف طريقة تأديتها للمعنى.

وبطبيعة الحال المتطلّع لما قدَّمهُ الجرجاني في هذا الميدان ينتبه أنّ تعريفه يحيل إلى علم أعم من **Semantic** وهو **Simiologie**، بمعنى أنّها علاقة بين ماهو موجود في الذهن واللفظ فبروز هكذا دلالة مرهونة بالقرائن اللّغوية.

خلاصة القول الدلالة من منظوره هي ربط بين الدال ومدلوله أي ما يصف به الإنسان عما يحسّ به عن طريق اللغة المنطوقة أو الرمز.

[1]- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، ص: 518.

[2]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 36.

[3]- معجم التعريفات، العلامة علي بن محمد السّيد الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، ص: 215.

كما وتجدر بنا الإشارة أنَّ العُلماء المحدثين قد عالجوا هذا العلم من بينهم: **سالم شاكر وميشال زكريا** ، في ذلك يعرّفها **ميشال** بقوله:" **إن علم الدلالة يعنى بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية**"[1]. وتنطوي وجهة النّظر هاته الاهتمام بكلّ ماهو موضوعي بعيد كلَّ البعد عن الذاتية وإعمال للعواطف فهو كعلم يدرك بالمنطق في وضع مفاهيم التراكيب اللّغوية.

أمَّا **شاكر** فقد وضَّح ذلك "**أما علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلا في تطوّر معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة**"[2]. نتيجة ذلك هو علم متعلق بمدى تبليغ الفهم النَّصي بدقة لذهن المتلقي وشمل كل التّغيرات والملابسات التي تطرأ على مستوى الكلمة في اختلاف مبانيها ودلالاتها.

ب- أنواع الدلالات

تعرف الدلالة بالعلاقة القائمة بين الصّورة الصوتية والتّصور الذهني فأنواعها تتعدد بمعرفة الاختلافات بين اللفظ الدال و مفهومه المدلول، ومن أبرز تقسيماتها المتفق عليها عند العرب ثلاثة: عقلية، طبيعية ووضعية، لكن قبل أن نشرع في التفصيل في كل نوع نوجز كلامنا بمخطط توضيحي:

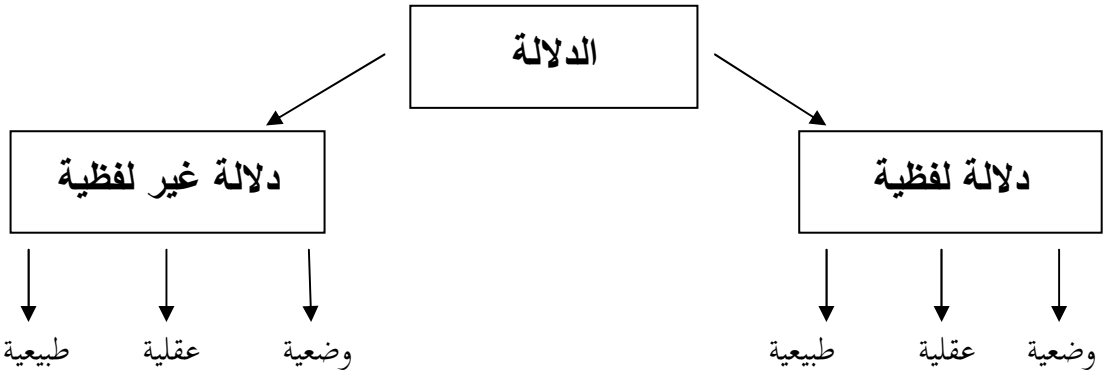

[1]- الألسنية علم اللغة الحديث ، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983م، ص: 211.

[2]- مدخل إلى علم الدلالة، سالم شاكر، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م، ص: 04.

- دلالة لفظية وضعية:

تعرف بالدلالة الاتفاقية أي **"جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأوّل فهم الثاني"**[1]. وقيل**"إنها الفهم"**[2]. بمعنى وضوح المعنى وتحقيق إفهامه لدى المستقبل نحو: دلالة لفظ الرّجل على الإنسان الكبير الذكر. وهذا النوع تندرج تحته جميع الألفاظ بدون استثناء. وفيما يخص الدلالة الوضعية غير لفظية كدلالة اللون الأخضر على الإذن بالسير.

- دلالة لفظية عقلية:

يعرّفها **التهناوي:" فالدلالة العقلية هي دلالة يجد العقل بين الدّال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه. والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا، سواء كان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار أو العكس كاستلزام النار للحرارة، أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان للحرارة "**[3].

وتجدر الإشارة أنّ دلالة اللفظ على المعنى تشمل ثلاث أقسام: دلالة المطابقة، دلالة التَّضمن، دلالة الالتزام .

كما وقد انتقدت هذه الأقسام لإغفالها المتكلم والاستعمال وأثرهما في المعنى. وفيها ما يعرف بالدلالة العقلية غير لفظية كدلالة الأثر على المؤثر.

[1]- معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، ص: 172.

[2]- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح: عبد القادر عبد الله المعاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، 1413هـ-1992م، ص: 32.

[3]-كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهناوي، تح: رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط1، 1996، ص: 487-488.

- دلالة لفظية طبيعية:

المراد من هذا النوع من الدلالة الوصول إلى طبيعة من الطبائع **"دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه"**[1]. نحو: دلالة لفظة "أخ" على الألم[2]. وفيها دلالة طبيعية غير لفظية متعلقة بحمرة الوجه تكون دلالة على الخجل، أي كل ما يدرك فيزيولوجيا في الحواس الخارجية.

ج- الجهود الدلالية عند العرب

تكاد تجمع جهود العرب القدامى في الدّراسات الدلالية أنّها خصت جميع العلوم في التراث المعرفي، فاتساع اهتمامهم أسّس لنظرية دلالية جعل قيمتها ترتفع مع الزمن إذ أننا نجد من أبرز العلماء العرب في ميدان الدلالة:

1-محمد بن إدريس الشافعي(150هـ-204هـ)

له جهود فذّت في أصول الفقه الذي فصل فيه بين الألفاظ العامة والخاصة وأشار إلى طرائق تصنيف الدلالة اعتمادا على القرائن اللفظية والعقلية يقول:" **رسول الله عربي اللّسان والدار، فقد يقول القول عامًّا يريد به العام، وعاماً يريد به الخاص"**[3]. مما تقدّم كلام الرسول صلى الله عليه وسلّم يمكن أن يختلف فيه إذا ما كان عاما يشمل فئة معينة أو خاصا يقصد به شخص محددا، بمعنى أنّ الدلالة هنا تحتكم إلى السياق التي وردت فيه.

كما لا يفوتنا التّنويه أنَّ كتابه مبادرة لوضع أسس يُفهم من خلالها النّص القرآني وتحدّد عليها الدّلالة اعتمادا على القياس الفقهي.

[1]- عادل فخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985م، ص: 50.

[2]- المصدر نفسه، ص: 51-50.

[3]- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ص: 213.

ومما لا شك فيه وضوح أحكام أصول الفقه والالتفات لها كانت في البدايات الأولى يوضّح ذلك **ابن رشد** قائلا: **"النظر في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استنبط بعد الصدّر الأول"**[1]. من هنا ما يخصّ المصطلحات التي أعطاها الشافعي مسافة دلالية باتت معالمها جليّة في أصول الفقه كإعطاء القرآن تأويلات وشروحات لابد من مزامنتها بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا النضج برز بمعرفته طرائق ضبط المعاني في التراكيب.

في مقام موالي، يجمع المؤرخون أنّ الفضل الأكبر لمناهج العلماء لمنهج الشافعيين يقول **سامي النشار:" وفي الحقيقة إن تاريخ وضع المنهج الأصولي يذهب إلى حد أبعد من عصر الشافعي بكثير، بحيث لا يجب أن نلتمسه فقط عند العلماء الأحناف في السنوات التي تسبق عصر الشافعي، بل في عصر الصحابة أنفسهم ولدى الكثير من فقهائهم، وعن هؤلاء الفقهاء أخذت معظم القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام"**[2]. أي عمل الأصولي عمل ظهر منذ نزول القرآن الكريم وصولا إلى تدبرهم فهمه وإدراك أحكامه.

مما تقدّم الشافعي أوّل من وضع القواعد العامة لاستنباط الأحكام والدلالات من القرآن الكريم معتمدا على القياس والفهم العميق والدقيق لمعاني اللغة العربية ، **"فتمام المعرفة اللغوية التي ينصّ عليها هو العلم بمعاني اللغة واتساع لسانها وهي الإشارة إلى وجود المجاز الذي عدّ عند أهل العربية القدامى من طرق توسيع المعنى، وكذلك الكلام عنده قد يخرج عن ظاهره كما يخرج عمومه وطريق معرفة دلك هي القرينة اللّفظية"**[3]. وعليه يرى **الشافعي** اكتمال المعرفة اللغوية هو إحاطة بمعاني اللغة جميعها، وفي ذلك يتم الإشارة إلى

[1]– فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص: 15.

[2]– مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980م، ص: 81.

[3]– علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 115.

أنّ المجاز الذي اعتبره أهل العربية القدامى وسيلة تعدد حقولها الدلالية، بالإضافة أن الكلام يخرج لديه إمَّا عن الظاهر أو العموم وتبيانه من خلال القرينة اللفظية.

هذا ولا ننسى أنَّ **الشافعي** عُرف بنظرته للعلامة غير اللغوية ففي تفسيره للعلامات والرموز الواردة في القرآن الكريم استند فيها على العقل، يقول الله تعالى: ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[1].

خلاصة القول **الشافعي** بات مصدر إلهام لعلماء الأصول عموما فكان كتابه "الرسالة" خير برهان على ذلك لاستنباط دلالات القرآن الكريم والحديث الشريف، حتى شهدت إنجازاته تحقيق وتدقيق من طرف بعض الأئمة.

2-الجاحظ (160هـ-255هـ)

يعدُّ **الجاحظ** عضوا في الفرقة الكلامية ، جهوده شامخة في مصنفاته الأدبية إذ نجد إنجازاته البلاغية مجارية بشكل واضح لأعمال **الشافعي** في علم أصول الفقه، ونجده أثناء تنبيهه على ضرورة مراعاة مقتضى الحال قسّم الكلام إلى طبقات بحيث تتلاءم مع النّاس. يقول:" **وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمح، والخفيف والثقيل، وكله عربي...**"[2].

وعليه الكلام لابدّ أنّ لا يكون عشوائيا غامضا في دلالاته فهنا تحويل للألفاظ من مكان لآخر، فوجب مراعاة حال فئة النّاس التي نخاطبها مع ترتيب المعاني والألفاظ بحسب ما يقتضيه العقل والمناسبة الكلامية.

من جهة أخرى ارتبط البيان عند **الجاحظ** بفصاحة الكلام وسلامته من ضعف التأليف، التعقيد اللفظي ومن التنافر بين الكلمات وهو أهم شرط نحو ذلك قول الشاعر:

---

[1]- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية: 16.

[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، ص: 135.

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر[1]

هو بيت شعري عرف بالاستكراه لقرب مخارج أصوات حروف الكلمات لبعضها ما أدى لصعوبة سلاسة وسلامة نطقها، لكن تبقى البلاغة لدى الجاحظ حسن تركيب الكلمات في سياق يستحق القذف لقلب المتلقي ثم سمعه.

بالإضافة أننا نجد **الجاحظ** قد أكد على فائدة الإشارة والعائد منها في الاتصال والتّواصل الخطابي وفي هذا يقول: "**الإشارة واللفظ شريكان ونِعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما ينوب عنه اللفظ**"[2]. يتبين أن الإشارة تساهم بشكل غير مباشر لتحقيق مقاصد المتكلمين دون تصريح لفظي مباشر.

وبما أن الدلالة لا ظهور لها دون علامة فقد تمثلت أصنافها عند **الجاحظ** في قوله:" **أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، التي تسمى نصبة ولكل واحد من هذه الخمسة صورة من صور صاحبتها**"[3]. ومنه الدلالة لدى الجاحظ وضعها تحت اسم البيان وجعلها على خمسة أقسام: اللفظ، الخط، الإشارة، العقد دلالة يكون بالحساب بواسطة أصابع اليد، الحال.وفيما يلي مخطط يوضح ما سبق ذكرنا له:

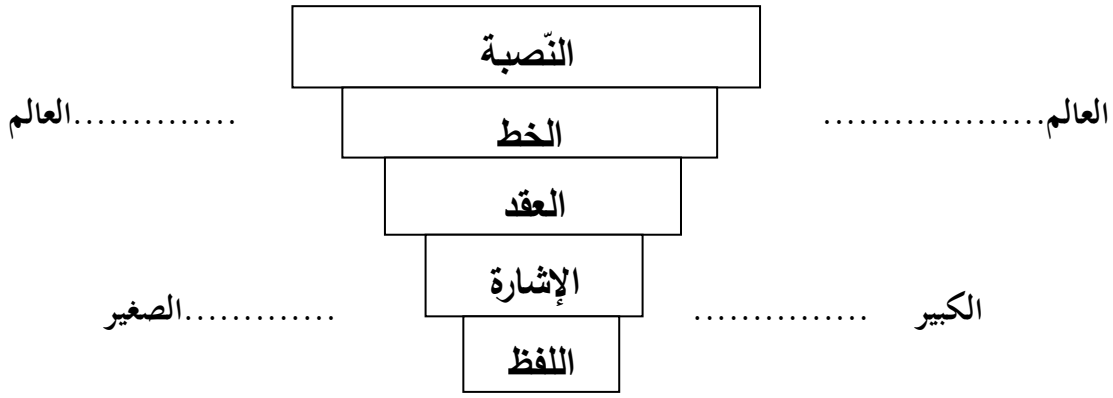

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ، ص:65.

[2]- المرجع نفسه، ص: 43.

[3]- المرجع نفسه، ص: 82.

لا محدودية المعاني(العالم الكبير) في مقابل محدودية الألفاظ(العالم الصغير)[1]

خلاصة القول، أعطى أهمية كبيرة للألفاظ لإظهار معانيها واستعمالاتها وركّز على المخاطِب ودوره في نجاح العملية التخاطبية مؤكدّا على بلاغة الكلام وبيانه ومما لاشك فيه تأكيده على العلامة باختلاف أنواعها في إيضاح دلالة الرّسالة.

3- أبو الفتح ابن جني(320هـ-392هـ)

يعتبر **ابن جني** من البلاغيين القدامى الذين قدموا جهودا جبَّارة في ميدان علم الدلالة، فمعالجاته في هذا الميدان سارية المفعول إلى يومنا هذا إجرائيا ونظريا، وكتابه **"الخصائص"** خير دليل على ما حفظه التُّراث العربي لأعماله ، وعليه فصل هذا العالم بين أنواع الدلالة وجعلها على ثلاثة أقسام:

1-الدلالة اللفظية:

وهي الدلالة التي عدّها **ابن جني** أقوى الدلالات لاهتمامها باللفظ ومشتقاته أي الجانب المعجمي لأنّها **"دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقها وأبنيتها الصرفية"[2]**. ومنه كل جذر لغوي لفعل له دلالة بلاغية تميزه عن بقية الجذور الاشتقاقية الأخرى نحو ذلك: **الفعل "قعد"** يدل بصيغته المعجمية على حدث خاص دي دلالة معينة وهو المصدر"القُعُودْ" وإنّه متعلق بفاعل تعلقا معنوياً، ومنه اشتقت صيغ أخرى لها ارتباطا بالدلالة الأساسية للفعل منها: مقعد-متعاقد-قاعدة وما إلى ذلك الصيغ، وما يجدر ذكره أنّ قيمة الدلالة الأساسية للصيغة الصرفية، تعتبر المركز الذي يستقطب كل الدلالات المتفرغة عنه، بحيث تدخل في علائق وظيفية مختلفة وتبقى مشدودة إلى الدلالة اللفظية للفعل[3].

[1]- النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ ، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983م، ص: 314.

[2]- علم الدلالة العربي بين النّظرية والتطبيق، فايز الداية، ص: 20.

[3]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 132.

2-الدلالة الصنّاعية (الصّرفية)

هي دلالة تركز على أصل الكلمة ووزنها وتقع في المرتبة الثانية بعد الدلالة اللفظية يوضح **ابن جني** ذلك بقوله: " **وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة**"[1].

بالتالي هي دلالة غير لفظية وإنما دلالة خاصة بالوزن كأن يكون لكلمتين نفس الوزن لكن الاختلاف يمكن في دلالتهما، نحو ذلك: **كلمتي قام- مقام** تشتركان في نفس الدّلالة اللفظية وهي دلالة الجذر(ق.و.م)، لكن معناهما مختلف نتيجة تباين ومنيهما فوزن قام(فعل) ويدل على حدث القيام في الزّمن الماضي ووزن مقام(مَفْعَل) الذي يدلُّ على معنى اسم المكان يتبيّن من هذا أنَّ الصيّغ الصّرفية لها دور كبير في تحديد دلالات الكلمات، فصيغ الأفعال وأنواعها الماضي، المضارع، الأمر تدّل على الحدث وزمانه، وما يتّصل بهذه الأفعال من حروف وما يدخلها في القوة أو التّضعيف، فتضعيف العين مثلا: دلالة على قوّة الحدث وكثرته نحو:اخْضَرّ، اخْضَوْضَرَ تحمل صيغ الأسماء معاني متنوعة كأسماء الفاعلين والمفعولين وصيغ المبالغة والنّسب والجُموع فلكل منها معنى تؤديه.

3-الدلالة المعنوية:

هي الدلالة التي ننتقل منها من معنى كلمة لمعاني أخرى، كدلالة الضّرب على الفاعل والمفعول به أداة الضرب أو ما يرادفها أو ما يقابلها. من هنا، يعرفها **ابن جني**: " **دلالة اللفظ على المعنى**"[2]، أي دلالة فاعل الفعل فالدلالة المعنوية تستحضر دلالة الفاعل والمفعول والمرادف والنّقيض.

وفيما يلي رسم توضيحي لأنواع الدلالة عند ابن جني:

[1]- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، دت ص: 120.
[2]- المرجع نفسه، ص: 100.

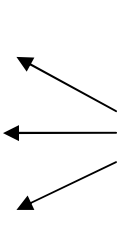

نستنتج أنّ ابن جني انتصر لأهمية المعنى على اللفظ وأقام على كلامه الدليل مما ورد في الكلام العربي، حيث أكدّ أن ذلك ناجم عن خدمة المعاني والقصد، فقد كانت جهوده ذات أثر في إزالة اللبس عن كثير من المسائل الدلالية خاصة دور المستوى الصوتي في إيضاح المعنى.

د-العلاقة بين النَّحو والدلالة Semantic and Grammar

النّحو **Grammar** والدلالة **Semantics** علمان منفصلان لكن هناك تفاعل بينهما من ناحية المعنى الدلالي والمعنى النّحوي. إذ المعنى يعد" **أساسًا في الدّرس النّحوي ومحوره لذلك فإنّه هدف النّحاة السامي الذين يريدون معرفته وكشفه وتوضيحه وتقويته**"[2]. من هنا فالنحو كان ولا يزال هدفه الأول هو المعنى بدليل أنه وضع لفهم القرآن حتى بلغ الأمر بالقدماء أن سموه قرآن النّحو.

وفي نفس الصّدد النحو والدلالة حاجتهما إلى بعض كحاجة أحد أعضاء الجسم لبقية الأعضاء فلا غنى لفضيلة أحد عن الآخر "**فتعانق النّحو والدلالة تعانقا حميمًا يجعل الفهم الصّحيح للنّحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي، بحيث يكون النّحو ركيزة يرتكز عليها المعنى**"[3]. ومنه النّحو روح اللغة الذي يزيد ألفاظها جمالا وفخامة مدلولاتها اللغوية، وصولا لبلوغ المفاهيم الصحيحة في التراكيب اللغوية حتى يرقى بنا الأمر أن نقول النحو هو عماد المعاني.

[1]- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص: 131.
[2]- المعنى والنحو، عبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1423هـ-2006م، ص: 15.
[3]- النّحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللّطيف، ص: 08.

وعلاوة على ذلك فالعلاقة القائمة بين النحو والدلالة أشار لها **عبد الله أحمد جاد الكريم** بقوله: "**عندما يتّحد النحو مع علم المعاني يشكلان علما متكاملا سمّاه العلماء بعلم التركيب، حسب تصنيف العلوم حديثا ويسميه البعض بعلم النّحو العالي، حيث يدرس النحو بمنظور نحوي**"[1]. بالتالي المعنى مكمل لعلم النحو –يهتم بالناحية التركيبية للغة– فهو يرتبط ارتباطا مباشرا بعلم الدلالة لأنه أحد مكونات بلوغ قواعده النّحوية تعليلا وتفسيرا لها. ومن هذا المنطلق، النّحو يقوم على سليقة *compétence المتكلم اللغوية التي تساعده على توظيف لغته بشكل سليم ينأى بها عن الخطأ.

خلاصة القول العلاقة بين علم الدلالة وعلم النّحو أننا لا نستطيع الفصل بينهما ولا وضع حدود فاصلة بين العلمين، فكل طرف منهما يساهم بشكل واضح في بناء وتكوين جانب من جوانب بنيات الآخر.

3–النَّحو Grammar

اللغة العربية من أغنى اللغات في العالم لتشعّب علومها وكثرتها ، فمن بين علوم اللغة **Linguistics** علم النّحو **Grammar** الذي ارتبط بكلام العرب وبداياته في مدينة البصرة الذي أدى بالنحاة البصريين لوضع قواعد وضوابط تحفظ لغة القرآن ومعانيه من الفساد خشية الوقوع في الخطأ خاصة مع اهتمام المسلمين بالقرآن في تلك الفترة.

أ–مفهوم النحو:

- **لغة**

ورد مفهوم النحو في المعاجم العربية بعدة معاني منها ما ورد في **القاموس المحيط** "الطّريق والجهة ج أنحاء ونحوٌ يكون ظرفاً وأسماء وجمعه: نحوٌ، نحاهُ ينحوهُ وينحاهُ: قصدهُ كانتحاهُ "[2].

[1]– المعنى والنّحو، عبد الله أحمد جاد الكريم، ص: 24.

*– السليقة أو compétence: هو مصطلح يعود لتشومسكي ويعني به معرفة المتكلم المستمع بلغته.

[2]– القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط3، 2009م، ص: 1343.

وورد في **معجم الوسيط** النّحو: **"القصدُ يقال نحوتُ نحوهُ: قصدتُ قصدهُ والطريق والجهة والمثلُ والمقدارُ"**[1].

جاء في **معجم العين: "النّحو القصد نحو الشيء أي قصدت وبلغنا أن أبا الأسود وضّح وجوه العربية، فقال: أنحو نحْوَ هذا فسميَّ نحوًا ويجمعُ على أنحاءٌ "**[2].

وجاء بمعنى النّوع نحو: **أكلت الطعام على ثلاثة أنحاء: أي أنواع**[3].

وتمثل معنى النّحو في **معجم مقاييس اللغة: "نحوُ: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوتُ نحوهُ، ولذلك سميَّ نحو الكلام، ومن الباب انتحى فلان لفلان: قصدهُ وعَرَضَ له"**[4].

وتطلق كلمة النّحو على معانٍ عِدَّة منها: **"الجهة تقول ذهبت نحو فلان أي جهته ومنها الشبه والمثل تقول محمد نحو علي أي شبهه ومثله"**[5].

نستنتج في الأخير أنَّ المفهوم اللُّغوي للنَّحو في المعاجم اللغوية جاء بمعان القصد، الجهة، الطريق، الشبه والأنواع.

- **اصطلاحا**

اللغة العربية لغة الضاد حروفها إذا حزنت تكون لك بالمرصاد وإذا فرحت تكون لك خير حصاد قواعدها النّحوية خير دليل على إزالة قيدها الفكري، الثقافي والاجتماعي، الذي يظن أنها لغة عادية يكون مخطئا فهي لغة القرآن الكريم لغة الأسياد والسلاطين تاريخها عريق خُطَّت بعِدَّة أقلام وأيادي دراستها ومعالجتها تقتضي فقط العلم بقواعدها وضوابطها النَّحوية فيما يخص إدراك معاني الكلم والحركات الإعرابية. والمعنى الاصطلاحي للنَّحو

[1]- الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص: 901.

[2]-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تر.إسلام سلوم وآخرون، مكتبة لبنان، ط1، 2004م، ص: 812.

[3]- العوامل المئة النحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاني، تح: زهران البدراوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، ص: 88.

[4]- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، دت، ص: 547.

[5]- التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، دط، 1997م، ص: 812.

فيما يلي ينصُّ على اتفاق لغوي بين أفراد الجماعة اللغوية، يقول **ابن جني** في النحو هو: **"انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من كلام وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة والنّسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحةِ، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها ردَّ بالقياس إليها"**[1].

من هنا فكلامنا أخذناه مناظرة مع كلام العرب وما نطق به الفصحاء والأقحاح منهم، مع إمكانية تلقينها لغير الناطقين بها ولو كان ذلك قياسًا على ما سُمع من أهل اللغة، وكذا التّمكن من معرفة أحوال الكلمات وأواخرها إعرابا وبناءا فالنحو علم يخص كل العلوم بدون استثناء.

من ناحية أخرى فعلم النحو يهتم بمدى اتِّساق وانسجام هيكل الجملة والتحام عناصرها بعضها ببعض، في ذلك يقول النحاة محدّدين معناه:" **إنّه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء فيقصرون بحثه على الحرف الأخير من الكلمة، بل على خاصة من خواصه وهي الإعراب والبناء، ثم هم لا يعنون كثيرا بالبناء ولا يطيلون البحث في أحكامه وإنما يجعلون همهم منه بيان أسبابه وعلله"**[2]. ومنه غرض علم النحو معالجة التراكيب النحوية و تقصِّي الأساليب التي كوّنت بها عناصر الجملة وموقع الألفاظ كأسباب تقديم الكلمة وتأخيرها.

وجاء في **الموسوعة العربية الميسرة** في تفسير دلالته: **"العلم المبين لأحوال التراكيب العربية، وتجمع الأخبار على أنّ أول من تكتم فيه أبو الأسود الذؤلي بإشارة من علي بن أبي طالب أو زياد بن أبيه، محافظة على عبارة القرآن الكريم، وسلامة العربية خوفا من انتشار اللحن"**[3]. ومنه هو علم يوضح وضع التراكيب اللغوية كالتنكير والتعريف وغيرها للحفاظ على سلامة اللغة تفاديًا لفساد الألسِنة.

[1]- الخصائص، ابن جني، ص: 34.

[2]- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، دار الأفاق العربية، القاهرة، دط، 2003، ص: 01.

[3]- الموسوعة العربية الميسّرة ، أبناء شريف الأنصاري، مج:7، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1، 2001م، ص: 3369.

وفي نفس الصَّدد علم النحو قائم على سلامة اللُّغة العربية والتَّمكن من قواعدها النّحوية والصرفية لتحديد التغيرات في أواخر الكلم والأحكام المرتبطة بالجملة، فنجد **إيميل بديع يقعوب** يعرِّفه: **"أنّ النحو هو محاكاة العرب وإتباع نهجهم فيما قالوه من الكلام الصحيح المضبوط بالحركات"**[1]. مرتبط بمحادثات العرب و السير على طريقة ما نطقو به من صحيح الكلام فصاحة وبلاغة بالضبط الشكلي والمعجمي.

نستنتج في الأخير أن النحو يهتم بدراسة أحوال أواخر الكلام في البناء والإعراب ويهتم كذلك بالكلمة في حدّ ذاتها وتحديد الخصائص النحوية كما و يهتم بإبانة قصد الكلام، دون أن ننسى فضله الأعظم في صون اللسان من الخطأ و لغة القرآن من اللحن.

ب–موضوعه

علم النّحو كبقية العلوم الأخرى له قيمته وأهمية في اللغة، فهو سلاح الدخول لبقية العلوم وإدراكها، **يقول ابن جني** في ذلك:" **انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتشبيه والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب**"[2]. بالتالي النحو محاكاة للعرب في كلامهم، وسبيل لدراسة الكلمة من حيث الإعراب–تغير آخر الكلمة– والآخر دراسة بنية الكلمة المفردة .

في نفس الصدد وضح **الجرجاني** قائلا: **"علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده"**[3]. وعليه النحو يهتم بتراكيب العربية لمعرفة القواعد والقوانين أي ضبط أواخر الكلمات.

[1]– من قضايا النحو واللغة، إيميل بديع يعقوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت–لبنان، ط1، 2009م، ص: 10.

[2]– الخصائص، ابن جني، ص: 34.

[3]– التعريفات، الشريف الجرجاني، ص: 259–260.

نستنتج في الأخير، موضوع النحو يقتصر على دراسة الكلمة من حيث الإعراب والبناء وكذا أحوال الكلم وغير ذلك كالتكسير والنسب.

ج- أهميته

علم النّحو كبقية العلوم عرف اهتمام كبير من طرف العلماء خاصة لعلاقته الكبيرة بالقرآن الكريم لتيسير فهمه وقراءته، حتى بات علما ذو مصنفات فذة ذات قيمة ومكانة علمية استحوذت على أماكن شاسعة في المكتبات لتصبح ملاذ كل دارس. وعليه النحو العربي عند العلماء قيِّم، فنحن نجد **عبد القاهر الجرجاني** يؤكد بكلامه على أهمية النحو" **لابدّ من أن يعترفوا بالحاجة إلى النّحو وأنّ من ينكره ينكر حسه، ويكون مخالفا في حقائق نفسه، ولذا لم نأب صحة هذا العلم ولم تنكره مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله، كما أنّ علم النّحو هو العلم الذي يميز الصحيح من الفاسد من الكلام**"[1].وتفسيرا لذلك الحاجة للنَّحو لا يمكن إنكارها فهو أصبح قانونا يحكم العلوم وخاصة كتاب الله عزّ وجل، فالتقعيد للكلام صوابه من عدمه مرهون به .

ومن زاوية أخرى يقدم **أبو القاسم الزجاجي** قولاً حول أهمية النحو في فهم كلام العرب وتفادي الخطأ في الكلام "**فإن قيل فما الفائدة في تعلم النّحو؟...فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عزّ وجل، الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي-صلّ الله عليه وسلم- وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلاَّ بتوفيها حقوقها من الإعراب**"[2]. بالتالي بلوغ مستوى من فصاحة كلام العرب بطريقة سليمة منقحة من الأخطاء النطقية وفهم القرآن وتطبيق ما جاء في روايات السنة النّبوية بضبط ما صحّ لها في الإعراب لإدراك معانيها.

[1]- الإيضاح في مختار الصحاح، عبد الله أحمد جاد مختار، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت، ص: 47.

[2]- الإيضاح في علوم النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هـ-1979م، ص: 95.

نخلص إلى أنّ النحو من علوم العربية التي كانت لها فعالية لخدمة العربية وغيرها من العلوم حفاظا على سلامتها وتتضح عليها المعاني وتؤدي بها الكلمات وظيفتها ، فتأثير علم النحو في الدراسات اللغوية عموما جلي في التعابير لكلام سليم وكذا رقي الأسلوب.

د–فوائده

تكمن فوائد النحو العربي في معرفة إعراب القرآن واستنباط أحكامه ومنافسة العرب ، حيث نجد سيبويه قد ألف كتابه لأنه فارسي يتكلم العربية بصعوبة فأراد وضع دليل يدوي للفرس ليتقنوها، بالإضافة عن طريقه تتم معرفة الحركات الإعرابية إذا كانت منصوبة، مجرورة، مرفوعة، وضبط حركات الحروف. فبه توضع قوانين تحكم لغة القرآن بوضع النقاط والحركات على الحروف، صون اللغة العربية من اللحن وكذا تيسير قراءة القرآن وتلاوته بشكل صحيح .ففهم قواعد اللغة العربية وأسس الكتابة الصحيحة وأصول الدين وأمور الشريعة من أهم ما يساعد على إدراك المعاني.

4–تظافر عناصر النّص

تمر البنية في النحو الوظيفي بثلاث مراحل يُضطلع في كلّ مرحلة منها بناء بنية تُمثَّلُ بزُمرة من الخصائص والمحطّات الاشتقاقية فإنشاء الجملة وترميمها مرتبط بهذه العلاقات، المرتّبة على النّحو الآتي: وظائف دلالية، تركيبية وتداولية.

1- وظائف دلالية

هي وظائف ناتجة عن بنية حملية متكونة من محمولات دالة على واقعة ما يأخذها محل من محلات الموضوعات وتشتمل على الوظائف الآتية:(المنفذ، المتقبل، المستقبل، الأداة، المكان، الزمان، الحال) وحدود تدل على المشاركين في الواقعة، كما يتبيّن من التمثيل التالي:[1]

{ (محمول)، (حد1، حد2، ... حد ن) }

واقعة مشاركون

هنا تتبيّن وظيفة كل حد من الحدود حسب نوع المشاركة التي يقدّمها في الواقعة التّي يدل عليها المحمول، فيكون إما: منفذ، متقبل أو مستقبل. نحو ذلك: أعطى خالد(منفذ) عليا(مستقبل) كتابا(متقبل).

وإذا كانت الواقعة حدثا هو القوة نحو: دوّى الرعد (قوة) و"متوضع" و "حائل" حين تكون الواقعة "وضعا" أو "حالة"، نحو: جلس خالد(متموضع)

هند(حائل) فرحة } حدود موضوعات

أما حدود اللواحق فلها وظائف دلالية ظرفية "الزمكان" " الأداة" "الحال" و"العلة". نحو ذلك:

أ-قابلني خالد مبتسما(حال)

ب-رأيت هند البارحة(زمان) في الشارع(مكان).

ج-قطّعت هند اللحم بالسكين(أداة)

د-أُخرجت هند من القاعة عقاباً لها(علة)[2].

[1]- ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، دط، دت، ص: 195.

[2]- المصدر نفسه، ص: 196.

بالتالي، حدود اللّواحق تسند لها وظائف: حال، مكان، أداة، علّة، زمان ما يقتصر في تخصيص الظّروف، أما حدود الموضوعات تسند لها وظائف: المنفذ، القوة، المتموضع، الحائل.

2- الوظائف التركيبية(النّحوية)

تعرف بأنها "**هي الوظائف التي تسند إلى الحدود بالنّظر إلى الوجهة التي ينطلق منها المتكلّم لتقديم فحوى خطابه، للواقعة التي يتضمنها الخطاب على الخصوص**"[1]. وعليه الواقعة تقدّم انطلاقا من وجهة محدّدة تختار منها بعض الحدود لتكون إما منظور ثانوي أو رئيسي.

يشتمل هذا النّوع من الوظائف على وظيفتين: الفاعل والمفعول، اللذان يتم إسنادهما إلى الحدود في الجملة وفق سلمية الوظائف الدلالية فهي مفاهيم غير كليّة وغير واردة في كلّ اللغات الطبيعية.كما يتم ربط الوظيفتين بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها حدود البنية الحملية، وعلى هذا تكون الوظيفتان في النّحو الوظيفي على النّحو الآتي:

- **وظيفة الفاعل:**

تعرف هذه الوظيفة أنّها "**تسند وظيفة الفاعل إلى الحدّ الذي يشكّل المنظور الرّئيسي للوجهة التي تقدّم انطلاقا منها الواقعة الدّال عليها محمول الحمل**"[2]. ومن هنا فوظيفة الفاعل تسند للوظيفة الدّلالية المنفذ، المستقبل والمتقبّل.

نحو ذلك:

1-كتب زيد (منفذ فا) مقالا.

2-حطم الرعد(قوة فا) الدار.

3-وقف زيد(متموضع فا)بباب الحجرة.

[1]- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، أحمد المتوكل ، ص:107.

[2]- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية وظيفة المفعول في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ص: 19.

4-خالد(حائل فا)فرح.

5-حزن حزن(حدث فا)شديد على ذهاب زيد.

6-انتُقذ زيد(متقبل فا).

7-أعطي عمرو(مستقبل فا) حقيبة.

8-خُرج من الدار(مكان فا).

9-صيم يومُ الجمعة(زمان فا). [1]

- **وظيفة المفعول:**

هي وظيفة "**تسند وظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تُقدّم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل**"[2]. وعليه تسند هذه الوظيفة إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي ومنه تسند إلى الوظائف الدلالية المتقبل، المستقبل.

ومما لا شكّ فيه تساهم كل من وظيفة الفاعل والمفعول في الرّبط بين بنية الوظائف الدلالية والبنية الصرفية التركيبية.

بالتالي هي وظائف غير كليّة كبقية الوظائف فاستخدامها غير وارد في كل اللغات الطبيعية فهناك لغات كثيرة لا تحتاج وصف خصائصها لاستعمال مفهوم الفاعل والمفعول، ما يعني إسناد وظيفة الفاعل للموضوع المنفذ ووظيفة المفعول إسنادها لموضوع المتقبل.

3- الوظائف التّداولية

ترتبط الوظائف التّداولية بالسياق والعلاقة التفاعلية بين الملقي والمتلقي في موقف تواصلي إبلاغي. وعليه، تنحصر هذه الوظائف التّداولية في النّحو الوظيفي في خمس وظائف:

[1]- ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ص: 40.

[2]- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية، أحمد المتوكل، ص: 19-20.

1- وظائف خارجية(المبتدأ، الذّيل والمنادى)

سميت بهذا الاسم لأنّها تُسند إلى مكوّنات تتموقع خارج الجملة.

- **المبتدأ Théme**:

وظيفة المبتدأ الخارجية **"هو ما يحدّد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا"**[1]. بالتالي هو وظيفة تداولية محدّدة بمجال الخطاب وما بعده، نحو: **زيد**، قام أبوه.

مبتدأ ↓ حمل ↓

من هنا يكون المبتدأ صالحا للإحالة على ما بعده ويكون معرّفا بالوضع التخابري بينهما لكي يتمكن المخاطب من التعرف على ما يحيل إليه المبتدأ.

- **الذّيل Tail**:

يعرّف أنّه: **"المكون الذي يوضح أو يعدّل أو يصحّح معلومة واردة في الحمل"**[2]. من هنا يؤكد المتوكل على ثلاثة أنواع لهذه الوظيفة ذيل تصحيح، توضيح وتعديل. نحو: نجح، **الطّالبان**/ قرأت الكتاب، **نصفَه**.

- **المنادى Vocative**:

يعرّفها الدكتور أحمد المتوكل بقوله: **"تسند وظيفة المنادى إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة"**[3]. وعليه يفرّق المتوكل بين النداء كفعل لغوي-نوع الجملة-، والمنادى كوظيفة تسند لمكون من مكونات الجملة. نحو: **أيّها الحكيم**[4].

---

[1]- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص: 115.

[2]- المصدر نفسه، ص: 116.

[3]- المصدر نفسه، ص: 117.

[4]- كليلة ودمنة (مقدمة الكتاب)، ابن المقفع، تح: محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1990م، ص: 15-16.

2- وظائف داخلية(المحور، البؤرة)

فيها تقوم علاقات بين مكوّنات الجملة على أساس المقام الذي تنجز فيه الجملة. ومنه، فهي تحدّد وضع المكوّنات في البنية الإخبارية لقيامها بتحديد العلاقات بين مكونات الجملة على حسب التواصل القائم بين طرفي العملية التّخاطبية.

- **المحورTopic**:

تعرّف على أنّها "**تسند وظيفة المحور إلى المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل**"[1]. نحو: أ-ماذا شربت **هند**، ب-شربت **هند** فنجان قهوة.

من زاوية أخرى لاحظ المتوكل أنّ اللغة العربية لا تختلف عن غيرها من اللغات في كونها تنزع كغيرها تجميع وظيفة المنفذ ووظيفة الفاعل ووظيفة المحور في مكون واحد.كما هو الحال في جملة- شربت **هند** فنجان قهوة، فالمكون **هند** يجمع بين وظيفة المنفذ والفاعل والمحور. بالتالي، المحور هو المكون الدال الذي يكون محط الحديث عنه في الجملة.

- **البؤرة Focus**:

تعرّف البؤرة أنّها: "**الوظيفة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة**"[2]. بالتالي الموقف الكلامي لا يخلو من المعلومة البؤرية التي يعتقد المتكلم أنّها تُدرج في المخزون الفكري المعرفي لدى المستقبل فهي المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر بروزا في الجملة التي يمكن أن تجهل من طرف المخاطب أو تكون محل شك بالنسبة له أو يتم إنكارها.

[1]- اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط2، 2010م، ص: 153.

[2]- المصدر نفسه، ص: 123.

5-القصدية والإبلاغيةIntentionnalité

تعمل المقاصد على تكوين الوجه العام للمعنى كما هي عند المرسل التي تؤثر في استعمال اللغة يستلزم مراعاة كيفيات التعبير عن مقاصده، وهنا تكمن وظيفة اللغة "**في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السِّياق بمجمله، فتتّضح المقاصد بمعرفة عناصره**"[1]. بالتالي تكون هنالك استجابة بين المخاطَب والمخاطِب ملائمة بما يقتضيه السِّياق لبُلوغ المعاني المرغوب فيها.

ويرى بن ظافر الشهري أنّ المقاصد هي المعاني نفسها أو المعاني هي المقصودة ومنها "**أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناء على أنَّ العرب إنّما كانت عنايتها بالمعاني، وإنّما أصلحت الألفاظ من أجلها. وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللّفظ إنّما هو الوسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود**"[2]. فرغم قدرة المتكلم في التّعبير عن مقاصده على اختلاف مستويات التّحليل اللساني إلاّ هنالك تفاوت بين المعاني من حيث علاقة القصد بالنّص والخطاب. من هنا فهم المتلقي لقصد الملقي لا تتم بمعزل عن السّياق.

شغلت النظرية المقصدية اهتمام البلاغيين قديما وحديثا ذلك جليّ لدى كل من "**الجاحظ**" و"**السكاكي**" إذ "**ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين المستمعين وبين أقدار الحالات... حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات. وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات**"[3]؛ أي تحقيق القصد الحقيقي من الحوار الكلامي يجبرنا حتما مراعاة أحوال المخاطبين وقياس قيمة المعنى على حسب المقامات.

---

[1]- إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 2004م، ص: 204.

[2]- المصدر نفسه، ص: 195.

[3]- البيان والتبيين، الجاحظ، ص: 138-139.

أكّد "**الجرجاني**" أنّ استعمال آليات معيّنة في الخطاب لا يكون إلاّ من أجل تحقيق مقاصد معيّنة يبتغيها المرسل ولا تتحقق هذه المقاصد إلاّ في المعاني[1]. وعليه لابد من فهم وإفهام القصد فتأسيس نص كلامي أو خطاب متعلّق بفهم المرسل إليه للمرسل تتناسب مع سياق النّص تفادياً لإنتاج خطابات غير متناسبة مع فهم المقاصد.

مما لا شك فيه المقاصد هي لبّ العملية التواصلية لأنّه: " **لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديّة وراء فعل التّواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات**"[2]. معنى ذلك التواصل لا يتم بعلامات لغوية سواء كانت مباشرة صريحة أو غير مباشرة إلا إذا كان خلف ذلك قصد يدل على توجه فكري لغوي.

نستخلص في الأخير القصدية تقوم على المادة اللغوية التي تحقق الفهم والإفهام لارتباطها بين الملقي والمتلقي وكذا تحقيق التناغم بين عناصر النّص الخادمة للسياق والوصول للمعاني المرغوب فيها.

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 240.

[2]- إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص: 235.

الفصل الثاني:

أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري

1- السياق لدى الزّمخشري

2- أنماط السياق لدى الزمخشري

3- الدلالة لدى الزمخشري

4- النحو في الكشاف

5- تظافر النّحو والدلالة في خدمة السّياق

توطئة:

مصنف **الكشاف** الذي يعود للمفسِّر **جار الله الزمخشري** (ت**538**هـ) من أضخم المصنَّفات التي حازت على إدراكٍ و اهتمامٍ من طرف العلماء، فكتابه كان ولا يزال ثمرة فهم آي الذكر الحكيم إذ وجب حضور التأويل والتفسير اللغوي في كتاب الله–القرآن الكريم– حتمي يقتضي وجود فروع عدة لعلوم اللغة كالنحو والبلاغة وغيرها، والذي انبنى على ما يعرف بنظرية النظم للجرجاني المرتبط بفكرة السياق فبات جليًّا أنَّ فهم دلالات النّص القرآني ذو قيمة فعَّالة في تحديد أثر سياق القول لبلوغ المعنى المرجو وكذا ترجيح معاني ألفاظ القرآن وفقا لما تقتضيه طبيعة السياقات للدلالات.

1– السِّياق لدى الزَّمخشري

السياق القرآني من أهم السّياقات الملائمة والسّليمة لجعل كلام الله عزّ وجل متَّسق ومنسجم، فهو أحد أصول التفسير المعتمد عليها في فهم كتاب الله الذي ازدخر برزمة من كتب التفاسير له فكان السّياق لدى الزمخشري نموذج مثالي يرتكز على تعدّد القراءات التي تبوء باختلاف معاني السياق القرآني ، الذي كان يلجأ للاستشهاد على بلاغة القرآن الكريم بكلام العرب المنظوم والمنثور.

لقد تعدّى جار الله الزّمخشري قضية إدراك الألفاظ ومعانيها إلى المعنى السياقي، قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1]، هذه الآية حسب تفسير ما جاء به الزّمخشري **"تنبيه على من ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة بالفلاح؛ أي المفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم**

[1]– القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 05.

تستغلق عليه، والمفلج–بالجيم– مثله، ومنه قولهم للمطلقة: استفلحي بأمرك بالحاء والجيم، والتركيب دال على معنى الشّق والفتح، وكذلك أخواته في الفاء والعين، نحو: فلق، وفلذ، وفلى"[1].

وفي سياق آخر قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]، أي الحمد باللّسان، فهو إحدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه الصّلاة والسلام: "**الحمدُ رأسُ الشُّكرِ، ما شَكَرَ الله عبدٌ لم يحمَدهُ**" [3]. أما "**جعله رأس الشكر لأنّه ذكر النعمة باللّسان والثناء على موليها، أشيع لها وأدّل على مكانها من الاعتقاد، وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف اللسان، وهو النّطق الذي يفصح من كلّ خفي ويجلي كل مشتبه. والمعنى نحمد الله حمدًا**"[4].

وعليه يبين الزمخشري في كشافه دلالة اللفظ القرآني في سياقه وما يشتمل عليه من معاني، فحسب سياق الآية السابقة من سورة البقرة يعطيها بعد لمعنى مجازي يتماشى مع دلالتها القرآنية.

يذكر الزّمخشري في إطار ما يشتمل عليه السياق لتبيان المعاني"**أنّ الجمل التي يقرر بعضها بعضًا تتناسق من داخلها ويأخذ بعضها نسق بعض، وهذا التناسق الداخلي أقوى في ترابطها من ذكر حرف النّسق، لذلك كان اعتباره ادخل في البلاغة من غيره، وفي ترتيب هذا النّوع من الجمل وبناء بعضه على بعض ما يتبيّن منه قوة الكلام وجودة بلاغته**"[5]، يقول في قوله تعالى: ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[6]، معناه "**أن ذلك الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنّه الذي يستهل**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 159-161-162.
[2]- القرآن الكريم، سورة الفاتحة، الآية : 01.
[3]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص:111.
[4]- المصدر نفسه، ص: 112.
[5]- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص: 362.
[6]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 02.

أن يسمّى كتابا، كما تقول: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال"[1]، وكما قال-من الطويل-:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القول كل القوم يا أم خالد[2]

معنى ذلك **"أن يقال: إن قوله: ﴿الم﴾ جملة برأسها و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة ثانية، و فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثالثة، و﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ رابعة، حيث جيء بها متناسقة وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريرا لجهة التّحدي؛ لأنّه لا كمال أكمل ممّا للحق واليقين"**[3].

أمّا فيما يخص ما أورده جار الله **في كشافه** لمبدأ التمثيل والتخييل في السياق القرآني، يقول في قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4]. في الآية الكريمة تمثيل وتخييل خاصة أنه نفس ما مرّ في قوله تعالى:﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**﴾[5]، فنجده دلّ عليه قوله في الآية 21 من سورة الحشر(**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**). قيل في تفسير موضع سياقها، **"توبيخٌ للإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن-البعد الإلهي- وتدبّر لقوارعه وزواجره**[6].

حصر الزّمخشري التمثيل والتخييل في كلامه بالتشبيه الذي جمعه مع التمثيل على أنهما شيء واحد؛ لأنّنا نجده يخلط بين الأمرين في تفاسيره لصورة آية من آي الذكر الحكيم .

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 142.
[2]- المصدر نفسه، ص: 142.
[3]- المصدر نفسه، ص: 149-150.
[4]- القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية: 21.
[5]- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 72.
[6]- ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج6، ص: 85.

ومن نماذج ما قدّمه الزّمخشري حول القرائن اللفظية والمعنوية في السياق قوله في قول الله عزّ وجل في كتابه العزيز﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[1]. بالتالي "**أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب فقوله:(تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء**"[2].

وفيما يخص دراسة اللفظة مع ما يناسب سياقها فقد عزم على اتحاد دلالة الكلمة مع ما يلاءم السياق الذي جاءت فيه، يقول تعالى: ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾[3]. ينبّه الزّمخشري في تأويله للآية السابق ذكرنا لها "**يمكن أن تكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنا أحسن إليَّ، أي: خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا إلا بطريق الاستدلال، حيث خشي عقابه وهو غائب، فإن قلت: كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة؟ قلت: للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته، مع علمه أنه واسه الرحمة**"[4].

ممّا تقدم كلمة الرحمان في شكلها الخارجي مع سياق الآية لا تتناسب مع معنى الخشية، فالزمخشري وراء التباعد الظاهر لها هو دليل للملائمة الباطنية للمعنى الذي تضمنته في السياق تتلاءم بالضرورة مع السياق.

تملك الكلمة إيحاءات ومدلولات جمّة على حسب ما يقتضيه سياقها، سواء كان سياق جملة أو سياق نص فعن طريقه–السياق– ترسم حدود مقاصده الإبلاغية وتختلف المعاني، وهو في كتابه هذا قد فسّر القرآن بالقرآن واستحضر آيات مناظرة لتدعيم حجته.

[1]– القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 119.
[2]– الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 616.
[3]– المصدر نفسه، ج5، ص: 602.
[4]– المصدر نفسه، ص: 602-603.

في الأخير يتضح أنّ شغف الزّمخشري في تفسير معاني القرآن الكريم داخل سياقاتها قد اهتم من خلالها ببيان الأسس التي سار عليها نسق الجمل في القرآن والآيات ومراده من ذلك تسلسل أجزائه وما يناظرها في سياق وحدات أخرى.

كما عرض موضع الألفاظ اللغوية بالتفسير والشرح ملمّا بفروعها وأصولها وما يقاربها، فوصل للمعنى الذي يأخذه اللفظ الواقع في سياق الآية، مع مراعاة مقام حال السّياق وتوظيف ملكته المعرفية من أجل التعمق في اللفظ القرآني و الوقوف على المعاني.

1- أنماط السِّياق لدى الزَّمخشري

يعتبر السّياق أهم دليل لبيان الإعجاز القرآني، غرضه الأساسي تحكيم معانٍ جمَّة وإن كان تفسير القرآن بالقرآن جليٌّ في كتابه لخدمة تفسير النّص القرآني.

انطلاقا من التكامل بين السّياقات على اختلاف أنواعها جعلها الزّمخشري في كشافه محصورة في سياق بلاغي، نحوي ولغوي الذي يرجِّحُ مقصد صيغ كلام الله سبحانه وتعالى.

بادئ ذي بدء اهتم الزمخشري كغيره من المفسرين بالقضايا البلاغية سواء تعلق الموضوع بعلم البيان أو علم المعاني، وفيما يلي بعض النماذج البلاغية الواردة في الكشاف فقد أشار إلى أسلوب الاستفهام مثلا حسب طبيعة السياق ومقامه الذي قد يرقى بمعنى مغاير. نحو قوله تعالى:﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1]. ومنه ما ذكر في الآية الكريمة حسب سياقها تعجب لحقيقة صدق الكلام فيها حول إمكانية الكفر بالله ورسوله وقد مَنَّ الله علينا بالقرآن الكريم والسنّة

[1]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 101.

النبوية لأولنا وآخرنا نورًا وطريقا للفوز بالجنة. وعليه يكون السياق البلاغي لهذه الآية مفاده توبيخ الكافرين على جهلهم رغم تلاوة آيات الله عليهم بلسان النبي عليه الصلاة والسلام جهرا.

ولا غرو أن يكون الاستفهام في السّياق بمعاني أخرى، كما في قوله تعالى:﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]. من هنا الرّسول صلى الله عليه وسلّم كان يجتهد ويسعى للدّعاء لقومه على الرّغم أنهم كانوا وما زالوا مستمرين في جهلهم. بالتالي "**السياق البلاغي الصادر من الآية والقائم على الاستفهام غرضه إنكار التعجيب لعسر هدايته للكافرين**"[2]. نحو قوله عزّ وجل:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[3]؛ بمعنى الله سبحانه وتعالى قدّم للكافرين أو المعارضين حججا كثيرة لو استمعوا إليها لاقتنعوا بصدق ما جاء في كتابه عز وجل فالمقصود أنه لم يغلف على قلوبهم وهداهم فيبقى بيده أن يهدي من يشاء وقت ما يشاء من عباده الأحياء فإن ماتوا لا هداية لهم بعد ذلك.

من زاوية أخرى عالج الزّمخشري في علم البيان كل من المجاز، التشبيه، الكناية والاستعارة فالذي أشار فيه على التشبيه من مثل قوله قال تعالى:﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[4]. من هنا "**يقول الزّمخشري وشبه (رؤوس الشياطين) دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شرٌ محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح صورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوّرهُ المصورون جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدرون، كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير**

[1]- القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية : 40.
[2]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 445.
[3]- القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية: 22.
[4]- القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية: 65.

محض لا شر فيه، فشبهوا به الصورة المحسنة"[1]، في قوله عزّ وجل:﴿**مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[2].

وتماشيا مع ما تم ذكره من مدلولات السّياق في الجانب البلاغي ما قدّمه الزّمخشري حول بلاغة كشافه في قوله تعالى:﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[3].بالتالي "**تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتهجين**"[4].

مما تقدّم تكون الصور القرآنية من الأدلة المساعدة للسّياق على تحقيق الغرض منه–القرآن الكريم– وإدراك مظاهر البحث البلاغي في الكشاف قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[5].ومنه "**إن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، هنا تصح أن تكون استعارة وتمثيل، الأولى تجعل قلوبهم الحق لا ينفذ فيها والثانية تمثل حيث لم ينتفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها**"[6].

تعدّ الكناية من بين الأساليب الفنية التي تزيد السياق جمالا ورونقًا للمعنى الحقيقي معنى يناسبه يزيده قوة وبلاغة، فكان للزّمخشري أن اعتمدها في كشافه لبلوغ النتيجة من النّصوص القرآنية من ذلك ما أورده في قوله تعالى عن الكناية التي مفادها الإيجاز﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**

[1]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 398.
[2]– القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 31.
[3]– القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية: 19.
[4]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 402.
[5]– القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 07.
[6]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 414.

أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1]. **"فإن قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار إتيانهم بسورة من مثله؟ فإن تبيّن عجزهم صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم وبعدها لزموا العناد كان عاقبتهم جهنّم؛ لأنّ اتقاء النّار هو المذكور والمراد به ترك المعاندة وترك المعاندة لازم لاتقاء النار"**[2].

أما بالنسبة للاستعارة التي عدّها قادرة على التحليل وتصوير معنى سياق الآية، يقول في قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾**[3]، أي **"جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه، وهي من أحسن الاستعارات وأشدها بلاغة"**[4].

في نفس الصدد يقول حول الاستعارة في قوله تعالى:﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾**[5]. هكذا يتبين **"أن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة، ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك؛ والتي لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفًا من تلك الروعة"**[6]. إذن حسب معنى سياق الآية النبلاء هم من يتهافتون لإصلاح ما أحدثوا من فساد.

[1]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 24.
[2]- ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 457.
[3]- القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية: 53.
[4]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 363.
[5]- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: 154.
[6]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 514.

من ناحية أخرى ضرب الزّمخشري أمثلة حول جمال الكلمات في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾[1]. حسب الآية "**إذا وهن–العظم– تداعى وتساقطت قوته–البدن–؛ ولأنّه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن؛ لأنّ الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدًا إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها إدغام السين في الشين عن أبي عمرو، شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس وأخرج الشيب مميّزا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا؛ فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة**"[2]، في الآية زكرّيا يناجي ربّه وهو قد بلغ من الهرم وأصبح شعره أبيضا وضعف جسده ورقّ لكنه استمر بدعاء ربّه لأنّه لم يخيبه في ذلك مسبقا، فهنالك توسل إلى الله بما سلف من الاستجابة فتعظيم قدرة عز وجل جلية في ثنايا آيات السورة القرآنية.

هذا ويذكر الزّمخشري فوائد للكناية في الاختصار التي يكررها في مواضعها وعلى تأثير الصّورة المكنى بها؛ لأنها وإن كانت غير مقصودة بالنفي والإثبات فإن لها دخلا في الإيحاء والتأثير، في قوله تعالى:﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[3]. جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه، كقوله تعالى:﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾[4]. وعليه "**لم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلاّ في معنى العقد؛ لأنه في**

[1]– القرآن الكريم، سورة مريم، الآية: 04.
[2]– الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 05-06.
[3]– القرآن الكريم، سورة مريم، الآية: 20.
[4]– القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 49.

معنى الوطء من باب التصريح به، ومن آداب القرآن: الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان"[1].

كما عنيت حدود السّياق للدلالات التي تقف عليها في المحذوف في قوله تعالى:﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ**﴾[2]. "**(ولو أنّ قرآنا) جوابه محذوف، كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك، وتترك الجواب، والمعنى: ولو أن قرآنا (سيِّرت به الجبال): عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها**"[3].

وفيما ركّز على دلالة اللفظ حسب ما يُلزمه سياق الآية وعلاقتها بالجملة التي قبلها وبعدها، ما ذكره في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[4]. بناءا على ذلك "**الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى: ذكر الليل؟، أراد بقوله(ليلا) بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنّه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، من ذلك أنّ التنكير فيه قد دلَّ على معنى البعضية**"[5].

بني القرآن الكريم على آيات متفرقة تمثل مجموع سور كتاب الله عزّ وجل وعلى غرار ذلك يبقى تدقيق تلاحم سياق السورة أحد ركائز تحديد دلالة سياق السورة القرآنية. نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[6]. ومنه الكلام موجه للنبي خشية وطاعة لله وهزيمة للكافرين الطاغين لذلك جاءت بداية السورة القرآنية نداءا وإخبارا للمتلقين ودعوة لأحزاب المشركين الذين حاربوا الإسلام والمسلمين.

---

[1]- الكشاف، الزّمخشري، ج5، ص: 80.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص: 351.
[3]- المصدر نفسه، ص: 351.
[4]- المصدر نفسه، ص : 491.
[5]- المصدر نفسه، ص: 491-492.
[6]- المصدر نفسه، ج5، ص: 41.

نخلص أنّ اختلاف أنماط السّياق ورد حسب ما يقتضيه سياق الآية من ناحية ومن ناحية ثانية حسب ما يتماشى به تفكيره ومعتقده الاعتزالي، فنلحظ إزدواجية بين أنواع السياق في تفاسيره لكلام الله عز وجل، خاصة وأنّ هذا الأخير-جار الله الزمخشري- جَمع بين النّحو واللغة والبلاغة على حدّ سواء لتحديد سياق آي الذكر الحكيم فزاد ذلك كلامه قوة ومعنى لما يخدم النّص القرآني وتبيان أسراره.

4- الدلالة لدى الزَّمخشري

الجانب الدلالي لعلم الدّلالة يشتغل أساسا على تأويل معاني اللفظة واختلاف مسالكها السّياقية، فكانت آيات القرآن الكريم عند جار الله الزّمخشري سعيا منه لإثراء دلالاتها مع ما يناسب فكره، فالصلّة الوطيدة للّفظة ومعناها يُنتج حقول دلالية تتغير على حسب اختلاف سياقاته فالظواهر اللغوية الدّلالية التي احتواها مصنّف "الكشاف" كثيرة ومتنوعة.

في مستهل الحديث الألفاظ القرآنية في تفسيرات الزّمخشري عرفت محاولة إرجاعها إلى دلالاتها الحقيقية المحسوسة، منها ما أورده في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾[1]. ومنه "**يفسر(أفضتُم) دفعتم بكثرة وهي من إضَافة الماء وهو صَبُّه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم**"[2].إذن ما هو بتفسيره (أفضتم من عرفات) إلا رغبةً في المكوث في جبل عرفات إتماما لمناسك الحج والدعاء عنده والتضرع لله عزّ وجل.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[3]. هنا "**ورد تفسيره في الكشاف (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة، من نكفت الدّمع**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 408.
[2]- المصدر نفسه، ص: 409.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 182.

إذ نَحيته عن خدّك بأصبعك (ولا الملائكة المقرّبُونَ): ولا من هو أعلى منه قدرًا وأعظم منه خَطرًا وهو الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم"[1].

ويوضّح في الاستعمال الأصلي للّفظة، ما جاء في تفسيره للفظة (تثْرِيْب) قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[2]. "**قال: لا تأنيب عليكم ولا عتب، وأصلُ التثريب من الثّربِ وهو الشّحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه إزالة الثّرب، كما أنّ التجليد والتقريعَ إزالة الجلد والقَرَع**"[3].

وممّا لاشك فيه الزّمخشري في بيان معنى لفظة قام باعتماد إمّا نقيض لفظة أو نقيض جملة، على نحو ما جاء في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**﴾[4]، وعليه "**قال الزّمخشري في تفسيره (النّبذ وراء الظّهر) مثلٌ في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضُهُ جعله نصبَ عينيه وألقاه بين عينيهِ**"[5].

بيان معنى اللفظ انطلاقا من الأمثلة السابقة يرجع للاستعمال العام الذي جاءت فيه، فقد جعلها محصورة بتوضيح دلالة اللفظة بنقيضها أو ما يناظرها وردّها إلى المعاني الحقيقية الواقعية.

وفي مواضع أخرى يوضّح العلاقة بين التفسير الكلّي للآية والمعنى الثابت للفظة مع ما يناسب موقعها القرآني، من أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[6]. هنا "**علّل مجيء كلمة (نور) قائلاً: فإن قلتَ: هلاَّ قيل ذهب الله بضوئهم لقوله: أضاءت؟**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 182.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص: 321.
[3]- المصدر نفسه، ص: 322.
[4]- المصدر نفسه، ص: 671.
[5]- المصدر نفسه، ص: 671.
[6]- المصدر نفسه، ص: 190.

قلتُ: ذكرت النور أبلغ لأنَّ الضوء فيه دلالةً على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوْهَمَ الذَهاب بالزيادة وبقاءُ ما يسمّى نورًا، والغرض إزالة النّور عنها وطَمسُهُ أصلاً "[1].

إذن يتبيّن أنّ المعنى الإجمالي للآية ككل له ارتباطات بمعنى اللفظة في الاستعمال الواردة فيه فحسب ما جيء به من نماذج خير برهان على ذلك.

بالإضافة إلى تبيان الخواص الدّلالية للّفظة في سياقها القرآني، قوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾[2]، قال عن مجيء لفظة (نعبُدُ): "**العبادة أقصى غاية الخضوع والتّذلل، ومنه ثوبٌ ذو عَبدةٍ إذا كان في غاية الصّفاقة وقوّة النّسج ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله تعالى؛ لأنّه مولى أعظم النِّعمِ، فكان حقيقًا بأقصى غاية الخضوع**"[3].

ومن أمثلة ما أورده في تعدّد معاني اللفظة أيضا ما ذكره في قوله عزّ وجل:﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾[4]. من هنا جاء معنى (زرقا) على قولان:

-الزّرقة أبغضُ شيء من ألوان العُيُون إلى العرب؛ لأنّ الرّوم أعداؤهم وَهَم أزرق العيون لذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين. المراد العمي؛ لأنّ حدقة من يذهبُ نور بصره تزراق. [5]

اعتمد الزّمخشري في تحديده لمعاني المفردات القرآنية في ضوء سياق الآية القرآنية التي وردت فيها على المعنى المعجمي، نحو ذلك قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾[6]. مما تقدّم معنى

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج3، ص: 193.
[2]- المصدر نفسه، ص: 117.
[3]- المصدر نفسه، ج1، ص: 118.
[4]- المصدر نفسه، ج4، ص: 108.
[5]- المصدر نفسه، ص: 109.
[6]- المصدر نفسه، ج2، ص: 537.

(حفيّ عنها) أي **"كأنّك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال. ومنه إحفاء الشّارب واحتفاء البَقْل: استئصاله، وأحفى في المسألة إذ ألحَفْ، وحفَّى بفلانٍ وتحفَّى به: بالغ في البرِّ به"**[1].

هذا وجاء في تفسيره لكلمة (هَوَاء) قوله تعالى:﴿**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[2]. **"قال عنها الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به فقيل قلبُ فلان هواء إذا كان جبانًا لا قوة في قلبه ولا جرأة"**[3].

ولا ننسى في اختلاف لغات العرب ما يؤدي إلى تباين المعاني، من أمثلة ما ذكره الزّمخشري في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[4]. وعليه **"قال في اختلاف دلالة لفظة (اللّهو): الولد بلغة اليمن، وقيل المرأة"**[5]، وأورد بعض المفسرين لكلمتي (المرأة) و(الولد) في تفسيراتهم لكلمة (اللّهو) في هذه الآية فقالوا: **"لو أردنا أن نتّخذ ما يتلهّى به من زوجة أو ولد لاتخذناه من عندنا من الحور العين أو الملائكة"**[6].

جاء أيضا في تفسير لفظة (أعصر خمرًا) لقوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾[7]. بالتالي **"دلالة(أعصر خمرًا) تعني عنبًا تسمية للعنب بما يؤول إليه، وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب"**[8]. أي دلالة الخمر هنا من منظور الزّمخشري والمفسرين هي العنب.

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 538-539.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص: 389.

[3]- المصدر نفسه، ص: 390.

[4]- المصدر نفسه، ج4، ص: 133.

[5]- المصدر نفسه، ص: 133.

[6]- تفسير الجلالين للقرآن الكريم، جلال الدين محمد بن أحمد، مرا. عبد العزيز سيد الأهل، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، دط، دت، ص: 29.

[7]- الكشاف، الزّمخشري، ج3، ص: 283.

[8]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، 1967م، ص: 90.

في موضع آخر لاختلاف الدلالة يقول في قوله تعالى: ﴿**أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**﴾[1]. أي **"البَعْل الرب بلغة اليمن، يقال من بَعْل هذه الدار؟ أي من ربُّها"**[2].

في مقام موالي قال الزّمخشري مبديا رأيه حول لفظتي (القرية) و(الحيتان) كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا**﴾[3]. ومنه على اختلاف دلالات الألفاظ **"العرب تسمي المدينة القرية وعن أبي عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويّين أفصح من الحسن والعجّاج: أي رَجُلين من أهل المدن... والحيتان السّمك، وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السّمكة"**[4].

وعليه يكون لاختلاف لهجات العرب دور في مرونة وتعددية دلالة المفردات القرآنية فهي عدت أيضا أحد مفاتيح الدرس الدلالي الخاص بالقرآن. فكان الغرض استخلاص كل المعاني والألفاظ التي تنحصر في لفظ معين.

سلّط الزّمخشري الضوء في كشافه على اختلاف بنيات المفردات التي تخوّل الوقوف على معاني جديدة داخل النّص. من أمثلة هذه الميزة المعتمدة في الظواهر اللغوية نذكر مايلي:

قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾[5]. **"بمعنى بعد توثيقها باسم الله، أكدّ ووكّد لغتان فصيحتان"**[6].

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 228.
[2]- المصدر نفسه، ص: 229.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 525.
[4]- المصدر نفسه، ص: 525-526.
[5]- المصدر نفسه، ج3، ص : 468.
[6]- المصدر نفسه، ص: 469.

أمّا في موضع اختلاف حرف المفردة يقول في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[1]، في هذا الموضع ذكر معلّقا على كلمة (حتّى) **"أنّها تقرأ بالعين على لغة هذيل، ما يسمّى في الظواهر اللغوية الفحفحة"**[2].

أما فيما يخص اختلاف حركات المفردات التي تساهم هيا الأخرى في تغيّر المعنى وبيانه قوله تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ**﴾[3]. ومنه " **قرئ قَرح بفتح القاف وضمّها وهما لغتان كالضَّعف والضُّعف، وقيل: هو بالفتح الجراح وبالضمِّ أَلَمَهَا"**[4].

في نفس الصّدد يقول في قوله تعالى: ﴿ **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾[5]، بالتالي جاءت لفظة (بمصيطَر) بمعنى متسلِّط من هنا الكفار ليسوا قادرين على المسلمين.

من زاوية نظر أخرى علّق على لفظة (هَلُمَّ)، في قوله تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**﴾[6]. وعليه **"جاءت هذه اللفظة في كشّافه(هلُمَّ إلينا) بمعنى قربّوا أنفسكم إلينا"**[7].

مما تقدم يكون لاختلاف حرف المفردة وحركاتها من منظور الزمخشري عامل فعّال لتغيّر معانيها وبلاغتها.

جاء في القرآن الكريم كلمة الكرسي في سورتين من كتاب الله، وفيما يلي مقارنة بين دلالة كل لفظة حسب ما وردت فيه في سياقها.

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج3، ص : 282.
[2]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعارف، مصر، 1968م، ص: 22.
[3]- القرآن الكريم، آل عمران، الآية: 140.
[4]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 631.
[5]- القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية: 22.
[6]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 57.
[7]- المصدر نفسه، ص: 57-58.

- يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[1].
- يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ**﴾[2]. دلالة كرسي في الآيتين مختلفتان من حيث الأصل ، فدلالة لفظة (كرسي) في الآية الأولى أقرب إلى الصواب في معناها الأصلي، سيما وقد جاء في تفسير الطبري الذي قيل فيه:" **هو السرير دون العرش، وقيل: كرسيه ملكه، وقيل: قدرته. ابن عباس : كرسيه علمه**"[3]، و" **الكراسة منه، لما فيها من العلم، والكرسي: العالِم قال:**

يَحُفُّ بِهِم بيضُ الوجوهِ وعُصبَةٌ كَراسيٌّ بالأحداثِ حينَ تنوبُ[4]

أمّا تفسير الزّمخشري في لفظة"**وسعَ كرسيّه**" جعلها أربعة أوجه "**أحدهما أنّ كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود، ولا قاعد**"[5]. أما معناها في الآية الثانية جاءت بمعنى: "**نابٍ عن إفاد معنى إنابة الشيطان منابه نبوّأ ظاهرٍ**"[6].

بالتالي أدّت اللفظة مفهوم العلم و مدى ارتباطه بقدرة الله في الإحاطة بكل شيء خبرًا نحو قوله عزّ وجل: ﴿**وحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 480.
[2]- المصدر نفسه، ج5، ص : 270.
[3]- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، ط1، 1422هـ- 2001م، ص: 397.
[4]- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تح: شمران سركال يونس العجليّ، المجلد الأول، دار القبلة للثقافة الأسلامية، جدّة-بيروت، ص: 225.
[5]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 481.
[6]- المصدر نفسه، ج5، ص: 270.

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾سورة الأنعام الآية80. إذن اختلاف معاني المفردة القرآنية يختلف بحسب سياق الآية والسورة القرآنية التي وردت فيها.

المعنى عند الزّمخشري يتمثل في تحقيق المقاصد ففي تفسيره لدلالة السور يشرع في تحليل ألفاظها، من ثمّ يحدّد معناها حسب معنى السّياق إجمالاً.

أمّا فيما يخص الشواهد الشعرية التي اعتمدها كانت محاولة منه لتدعيم وتعزيز معاني الآيات القرآنية لكنّها تبقى طريقة نهجها للمقارنة والوقوف على أكبر رزمة من معاني التراكيب(لغويا، نحويا، بلاغيا)؛ لأنّ الشعر يبقى كلام العرب المعروف بفصاحته ورقيه.

شهدت الدلالة لدى الزّمخشري عدّة أنماط كدلالة الاقتضاء، دلالة الإشارة ودلالة الإيماء فالتّعمق في أصول الفقه ينمي القدرة على التفسير واستنباط المعاني والأحكام الشرعية وفيما يلي سنوضح ذلك بأمثلة عن كل نمط.

1- دلالة الاشارة:

دلالة الإشارة من بين الدلالات التي تركز على التأمل في معنى اللّفظ، نحو قوله قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[1]، دلالة العبارة حسب الزّمخشري تكمن في " **أداء الأمانات والعدل في الحكم أما دلالة إشارتها فهي على وجوب حفظ الأمانة فالخطاب عام لكل أحد في كل أمانة**"[2] ؛ فلزوم قضاء تأدية الأمانة لأصحابها يكون بحفظها وصونها.

[1]-الكشاف، الزّمخشري، ج2، ص: 93.

[2]- المصدر نفسه، ص: 94.

- يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[1]، فحسبه-الزمخشري- دلالتها "**أنّ الله سبحانه وتعالى فرعنا من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم، والمعنى: تشعبكم من نفس واحدة هذه صفتها**"[2]. من هنا دلالة إشارة الآية في قدرة الله في خلقه لنا يُلزم حكمه على التحكم فينا وفي أقدارنا.

- يقول تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[3]، جاء تفسير معنى النّص في هذه الآية عند الزّمخشري "**قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وقيل: كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بمشاورة أصحابه لئلا ثيقل عليهم استبداده بالرأي دونهم**"[4]. ومنه كانت دلالتها بالإشارة استشارة أهل المعرفة المختصين في الأمر المرغوب إزالة اللبس والقيد عنه.

- يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5]، جاء في الكشاف دلالتها "**أمرهم أن يستعملوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب، حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**"[6]. بالتالي ما دلّت عليه الإشارة في الآية ولم يتّضح من سياقها هو إيجاد أهل الذكر حتّى يسألوا فعدم وجودهم يفنّد عملية السؤال.

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، : 05.
[2]- المصدر نفسه، ص: 05.
[3]- المصدر نفسه، ج1، ص: 646.
[4]- المصدر نفسه، ص: 647.
[5]- المصدر نفسه، ج4، ص : 128.
[6]- المصدر نفسه، ص: 129.

- قال الله عزّ وجل: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[1]، جاء في تفسير معناها "**المعنى لرسول الله صلّى الله عليه وسلم أنّ الله عزّ وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله:(وينصرون الله ورسُوله)وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير**"[2]. يفهم من إشارة معناها أن المهاجرين تجرّدوا من أملاكهم وأموالهم بمجرد الخروج من بيوتهم.
- قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[3]، ورد معناه في مصنف الكشاف " **كل رسول أبو أمّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء**"[4]، بالتالي دلالة إشارة الآية هنا أن النبي صلى الله عليه وسلّم لا نبي بعده ولا رسول.
- يقول عزّ وجل: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[5]. ومنه "**قيل: خطاب لأداء الأمانات والحكم بالعدل، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم**"[6]، في نص الآية خطاب خاص دلالته تكمن في حالة وجود وساطة بين متخاصمين قضاء الإنصاف بينهما بالحق والعدل.

2- دلالة الاقتضاء

تعني دلالة الاقتضاء دلالة اللفظ على معناه ومما ورد من أمثلة في كتاب الكشاف لدى الزمخشري ما يلي:

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج6، ص: 79.
[2]- المصدر نفسه، ص: 80.
[3]- المصدر نفسه، ج5، ص: 75.
[4]- المصدر نفسه، ص: 75.
[5]- المصدر نفسه، ج2، ص: 93.
[6]- المصدر نفسه، ص: 94.

- قال تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾[1]، قام بتأويل تفسيره"**معنى (حرّمت عليكم أمّهاتكم): تحريم نكاحهن ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله، فكان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن**"[2]. أي المحرّمات تتعلق بما هو ناتج عن الأفعال الصادرة عن الذات الإنسانية بتحريم المحارم من النسب والرضاعة ... .

- قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[3]، وفسرّها الزمخشري **"هي مصر، أي أرسل إلى أهلها عن كنه القصة (والعير التي أقبلنا فيها): وأصحاب العير، وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء، معناه: فرجِعوا إلى أبيهم"**[4]، ومنه في الآية مجاز مرسل فالقرية لا تسأل والدلالة المرجوّة منها سؤال أهل القرية.

- يقول تعالى: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[5]، يذكر الزمخشري في تفسير معنى نص الآية **"جاءت معنى (معدودات): مؤقتات بعدد معلوم، أو قلائل، كقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾سورة يوسف الآية 20 فمن كان (على سفر): أو راكب سفر، (فعدّة) عليه عدّة، بمعنى: فليصم عدّة،**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 49.
[2]- المصدر نفسه، ص: 49.
[3]- المصدر نفسه، ج3، ص: 314.
[4]- المصدر نفسه، ص : 314.
[5]- المصدر نفسه، ج1، ص: 378.

وهذا على سبيل الرخصة، وقيل: مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدّة"[1]، من هنا تمثلت دلالة اقتضاء الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أباح للمريض والمسافر الإفطار في شهر رمضان على أن يتمّ قضاء عدّة تلك الأيام بأيام أخرى.

- يقول تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[2]، أي أنّ الله سبحانه وتعالى خالق الكون وحده ولا يعتدل أن يكون له ندّ لقدرته عز وجل في الخَلق وربوبيته. وهو يماثل ما جاء به جار الله الزّمخشري في كتابه "**لا خالق غير الله، ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق، فلا يكون له شريك في العبادة"**[3].

- قال تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**﴾[4]، جاء في تفسيرها "**معنى(ضالا) معناه الظلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع، فهداك:فعرّفك القرآن والشرائع. أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك"**[5]، إذن دلالتها الإرشاد والهدي إلى الطريق المستقيم وما يصح من الأفعال والصفات الحسنة.

- قال عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾[6]. ورد شرحها "**خطاب للمسلمين والمعنى أثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه، وقيل: الخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض"**[7]، وعليه دلالة نص الآية جاءت على المسلمين الاستمرار في إيمانهم والتّصديق بالله والكتب السمّاوية كالإنجيل، التوراة...

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 379.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص: 344.
[3]- المصدر نفسه، ص: 345.
[4]- المصدر نفسه، ج6، ص: 392.
[5]- المصدر نفسه، ص: 392-393.
[6]- المصدر نفسه، ج2، ص: 162.
[7]- المصدر نفسه، ص: 162-163.

3- دلالة الإيماء

تعدّ دلالة الإيماء احد مسالك بلوغ الدّلالة وهي مرتبطة بعلّة والحكم في الأمر، من أمثلتها:

- قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا**﴾[1]، صحّ شرحها في مصنف الكشاف "**السارق في الشريعة: من سرق من الحرز: والمقطع: الرسغ، وعند الخوارج: المنكب، والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة، وعند مالك والشافعية–رحمهما الله– ربع دينار**"[2]؛ ومنه من أخذ مال غيره بغير حق في ذلك جاز إقامة حدّ البتر بما ينص عليه الدين والشرع.
- قوله تعالى: ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾[3]، جاء في تاويل تفسيرها "**اجتنبوهنّ؛ مجامعتهنَّ، روي: أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة، لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فرش، ولم يساكنوها في بيت، كفعل اليهود والمجوس، فقال عليه الصلاة والسّلام:" إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهنَّ من البيوت كفعل الأعاجم**"[4]، أي اجتناب مجامعة النساء في الأوقات المخصوصة لهم في محيضهم حتى يغسلن ويتطهّرن، فدلالة إيماء النص الواردة في الآية كانت لعلة هي غاية التفرقة؛ لأنه أمر مستقذر يضر من يقربه.
- قوله قال تعالى: ﴿ **فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾[5]. "**فقوله:(فنصف ما فرضتم): إثبات للجناح المنفي ثمة، وقوله:(إلا أن يعفون):يريد المطلقات،**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج3، ص: 233.
[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 234.
[3]- المصدر نفسه، ج1، ص: 432.
[4]- المصدر نفسه، ص: 432-433.
[5]- المصدر نفسه، ص : 462.

يعني: إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر، وتقول المرأة: ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا، أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن"[1]،

إذن إذا تم الطّلاق بين الزّوجين، ولم يقربوهن فوجب إعطاء المرأة نصف المهر ما يحقّ لها فيه، أمّا إذا فرطّن جاز للزّوج أخذه كاملا وهو ما ينطبق على هذا الأخير في حال سمح فكانت دلالة الاستثناء.

- قال عزّ وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2]. من هنا "**(من يوم الجمعة) قلت: هي بيان لإذا وتفسير له، والنداء: الأذان. وقالوا: المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم مؤذن واحد، إذا نزل من على المنبر أقام للصّلاة"**[3]، فكانت دلالتها وجوب حضور الجمعة واستماع الخطبة فهو بمثابة نداء للمسلمين بترك البيع والشراء وكل ما تشابه وتماثل عليه تجارة يشغلكم عن أداء صلاتكم وذكر الله.

نتوصل في الأخير إلى أن دلالة القرآن الكريم طبّقها صاحب الكشاف بتقديم التحليل الدلالي على مفردات القرآن وهو عمل يهم بالدّرجة الأولى من لديهم رؤية ومعرفة بالإسلام. فجاءت الدلالة في مصنفه على النّحو الذي تم إيرادنا لها.

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 463-464.
[2]- المصدر نفسه، ج6، ص: 112.
[3]- المصدر نفسه، ص: 112.

4- النّحو في الكشاف

من المعلوم أنّ دراسة حياة اللّغة العربية وإتقانها مرهون بمعرفة علم النّحو، خاصة لضرورته في الفقه والتّفسير وغيرهما، فالكشاف بتحليلاته النحوية خير دليل وبرهان على ذلك، فكان للنّحو الكثير من المواضع والعلاقات بين الكلمة والجملة داخل التراكيب في سياقاتها اللغوية.

إنّ معرفة دلالات النّص القرآني عموما وآياته خاصة تقوم على مدى ثقافة المفسّر النّحوية فخير من يمثّل هذا التحقيق للجانب النّحوي "الزّمخشري"، لقوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[1].من هنا في الآية الكريمة يحاول عن طريق النّحو وضع تأليف لمعناها بحيث يتناسب مع معتقده وتفكيره السبّاق للعقل، **"حيث يعلّق الزّمخشري الجار والمجرور(لمن يشاء) بالفعلين: لا يغفر، ويغفر"**[2]، ويتّضح ذلك بقوله:" **كأنّه قيل إنّ الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أنّ المراد بالأوّل(وهو عدم الغفران) من لم يتب وبالثاني(وهو الغفران) من تاب"**[3].

في نفس الصّدد قال **أحمد سليمان ياقوت** معلّقا عليه:" **أرأيت إلى الزّمخشري كيف لوّى الإعراب وأماله عن الوجه الصّحيح؟ ولعمري، لو لم يكن الزّمخشري معتزليا ما استصوبه هو نفسه، والإعراب الصحيح هو ما قال به أبو البقاء العبكري من أن جملة (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) هو مستأنف غير**

[1]-القرآن الكريم، سورة النّساء، الآية: 48.

[2]- ينظر: ظاهرة الإعراب في النّحو العربي، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1981م، ص: 192.

[3]- الكشاف، الزّمخشري، ج1، ص: 520.

معطوف على (يغفر الأولى)؛ لأنه لو عطف عليه لصار منفيًا"[1]. بالتالي قدرة القارئ في صياغة المعنى مقيّد بمخزونه الثقافي، فكانت أداته النّحوية لوضع وإسقاط معتقداته النّحوية.

وممّا لاشك فيه اهتمام الزّمخشري بسياق الجملة جليّ في ثنايا كتابه لمعالجته الجملة طبقا لما تقتضيه القواعد النّحوية. **"فما ذكره في نظم الجملة بما يتصل ببلاغتها وحسنها سواء كان هذا معالجة الإعراب وفيما يلي تفصيل لما أورده في حديثه عن التقديم والتأخير، الاستفهام، صور النفي، التوكيد، أساليب الأمر، النهي، القسم والنداء وكذا الحذف والذكر"**[2].

وتماشيا مع ما تم ذكره فقد تمثّل التقديم لدى جار الله الزّمخشري أنّه" **إنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار"**[3]. من هنا" **أبان الزّمخشري في تقديم الخبر وهو جار ومجرور الغرض منه في مواطن متعدّدة فذكر دلالته على الاختصاص"**[4]، يقول في قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾[5]، **"تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلاّ على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن"**[6]، كما قال تعالى:﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[7]، وأول شاهد شعري لهذا الأسلوب التركيبي الذي يختص بتغير مواقع الكلام قيل:

فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما[8]

[1]- ظاهرة الإعراب في النّحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، ص: 192.
[2]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 269.
[3]- المصدر نفسه، ص: 270.
[4]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 271.
[5]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 607.
[6]- المصدر نفسه، ص: 607.
[7]- المصدر نفسه، ج4، ص: 312.
[8]- المصدر نفسه، ج1، ص: 28.

ومنه التقديم في البيت الشعري في تأخر جملة (فريق) تقدير الكلام: فقال فريق منهم، الغرض من هذا التقديم والتأخير إيصال المعنى في أحسن صورة.

ويذكر دلالة تقديم الخبر الظرف على الاختصاص في قوله تعالى:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1]. وعليه من أجل ضرورة دلالة التقديم هنا على الاختصاص "**اتجه إلى صرف النّظر إلى معنى الانتظار والتّرقب لأنّه لو كن بمعنى الرؤية للزم عليه أن هذه الوجوه لا تنظر إلى ربها كما هو مقتضى التقديم، والواقع إن هذه الوجوه تنظر يوم القيامة إلى أشياء كثيرة لأن أصحابها آمنون، وهم نظارة ذلك اليوم**"[2].

ممّا تقدّم يكون الزّمخشري وضّح مذهبه في دلالة التّقديم في الاختصاص، لكن اعترض عليه أبو حيان في ذلك وناقشه في الآية السابق ذكرنا لها وحجته في ذلك قوله:" **وقد انتقل الزّمخشري من دعوى الاختصاص بتقديم المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر ولا نعلم أحدا يفرق بين ليس في الدار رجل وليس رجل في الدّار**"[3]. وهو في ذلك مخطئ في رفضه لكلام الزّمخشري وفكرته في التقديم فقد " **أجمع أئمة هذا الفن في التّفريق بين تقديم الشيء وتأخيره، من ذلك فكلام الزّمخشري يدل صراحة على لزوم التقديم فهو يرى أن السياق له أثره الأكبر في تحديد هذه الدلالة، لذلك تراه يسكت عن الاختصاص في سياق آخر لا يجد له فيه معنى**"، يقول في قوله تعالى:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ**﴾[4]، أي"**فإن قلت ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها قلت القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوَجب تقديمه لانصباب الغرض منه**"[5].

[1]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 271.
[2]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 271.
[3]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 272.
[4]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 565.
[5]- المصدر نفسه، ص: 568.

ويتّضح في بعض الأحيان أنّ الاختصاص يعني اقتصار المسند على المسند إليه كما في قوله تعالى:﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ**﴾[1]. من هنا الزّمخشري يوضح المعنى "**أن أحدا لا ينفعه كسب غيره يشعر بأن في لها ما كسبت ولكم ما كسبتم قصر المسند على المسند إليه أي لها كسبها لا كسب غيرها ولكم كسبكم لا كسب غيركم**"[2].

هذا ولا ننسى أنّ الزّمخشري قد جعل في بعض المواضع المسند يصير مسندًا إليه، يقول في قوله تعالى:﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[3]، "**هذا كلام جامع لا يزاد عليه... فإن قلت كيف جعل خير من استأجرت اسما لأنّ والقوي الأمين خبرًا**"[4]، قلت هو مثل قوله:

ألا إنّ خير الناس حيا وهالكًا أسير ثقيف عندهم في السلاسل[5]

يتضح أن تقديم الخبر في الآية (إنّ خير من استأجرت) والبيت الشعري (إن خير الناس) كان من باب الأهمية، وهو رأي الزمخشري .

في نفس الصّدد قام الزّمخشري بمحاولات فذّة في تبيان تراكيب الجمل اللغوية النحوية ذات دلالات بلاغية في تفسيره الذي يعرف في علم النّحو بالفصل والوصل.

ومن أمثلة ما أورده في كتابه "الكشاف" قوله تعالى:﴿**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ**﴾[6]. وعليه "**فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 333.
[2]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 273.
[3]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 490.
[4]- المصدر نفسه، ص: 492-493.
[5]- المصدر نفسه، ج3، ص: 172.
[6]- القرآن الكريم، سورة هود، الآية: 93.

(سوف تعلمون)؟ قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟، فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف؛ للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان، تتكاثر محاسنه"[1]. وعليه تكون الواو بين معنى الجملة الأولى والجملة التي تليها لكل واحد منهما معنى مستقل عن الأخرى.

جاء في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[2]. **"فإن قلت هل اختلف المعنى بإدخال الواو هنا وتركها في قصة ثمود؟ قلت: إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسخير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرًا ولا يجوز أن يكون بشرا وإذا تركت فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحرًا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم"**[3].

ومن الجدير بالملاحظة أنّ الوصل لدى جار الله جاء إمّا لتقارب في المعنى أو اختلاف فيه نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**﴾[4].

وبطبيعة الحال في مقابل الفصل ما يعرف بالوصل، الذي يذكره الزمخشري انطلاقا من أنّ الجمل التي تتسق وتنسجم فيما بينها من غير إيراد حرف يحقق التناسق يبين مدى بلاغة الكلام وجزالته. ومن أمثلة ذلك يقول في قوله تعالى:﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[5]. وعليه **"جعل في قوله(ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لاريب فيه)جملة**

[1]- الكشاف، الزّمخشري، ج3، ص: 231.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص: 408.
[3]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 360.
[4]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 381.
[5]- المصدر نفسه، ج1، ص: 128- 141.

ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم"[1]. بالتالي جيء بها متناسقة كل واحدة منهما متّحدة مع الأخرى تتمّم معناها.

هذا ولحظ الزّمخشري في الاستئناف قوة وفخامة ليكون الكلام ردا سابق ووعيدا للمذاهب إليه، كما في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾[2]، يقول: **"فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله؟ قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أنّ الله عزّ وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، فالله هو الذي يتولّى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين"**[3].

وقد ينطوي الاستئناف على قليل من الاستغراب فيزيد الأسلوب قوة وفعالية، يقول في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾[4]. ومنه "**اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول قائل:**

وجارة حساس أبأنا بنابها كُلَيبا غلت باب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب، ألا ترى أنّ المعنى ما أشد استكبارهم وما أكثر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب"[5].

من زاوية أخرى قد يفسر فائدة الاستئناف على طريقة المعتزلة مُخضعًا النّص لمعتقده الاعتزالي، فيقول في قوله تعالى:﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 149.
[2]- المصدر نفسه، ص: 179.
[3]- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، ص: 363.
[4]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 341.
[5]- المصدر نفسه، ص: 342.

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[1]؛ "فقوله:(لَا إِلَهَ) قائما بالقسط إلا هو؟ قلت: لا يبعد، فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف، وإن جعلته حالا من فاعل شهد، فهل يصح أن ينتصب حالا عن (هو) في (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، قلت: نعم، لأنها حال مؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة زيادة في فائدتها عامل فيها، كقولك: أنا عبد الله شجاعًا، وكذلك لو قلت: لا رجل إلا عبد الله شجاعًا، وممن ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام"[2].

أسلوب التقديم والتأخير الذي اعتمده جار الله الزمخشري في كشافه كانت من باب التمكن في الكلام بلاغة وفصاحة وإيصال المعنى لقلب السامع عن طريق الأسلوب التركيبي من غير الإخلال بالمعنى وسياق القول.

عالج الزّمخشري الحذف في تفسيره للآيات وسلّط الضوء على مواضع الحذف، هذا الأخير مثله مثل التقديم والتأخير والفصل والوصل لا يقلل من بلاغة الكلام ولا يفسد معناه، فكان للحذف أن أعطى العبارة جمالا وإفهامًا.

من أمثلة ما قدّمه يقول في قوله تعالى:﴿ **لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[3]، "حذفت اللام في (جعلناه) فدُخول (لو) على جملتين معلقة ثانيتها بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كأن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضمون جملتيها، إن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق"[4].**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 534.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص:537.
[3]- المصدر نفسه، ج6، ص: 34.
[4]- المصدر نفسه، ج4، ص: 75.

انطلاقا مما سلف كان لموقع الحذف بلاغة في تركيب الآية واللفظ على حد سواء ، فكان له أن زاد لمعنى الآية قوة. ومن الحذف ما استشهد به الزمخشري شعرا على جواز حذف الجار، قول الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به والخير والشر عند الله مثلان[1]

وهو نفس ما أورده في تفسيره على حذف الجار قوله قال تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]، في مقابلتنا بين الآية القرآنية والبيت الشعري فيما حذف فيه حرف الجر في (الخير) و(تؤمر) جاز سقوط الحرف بدون تظليل لمعنى قوله عزّ وجل، ما دام أنه وصف كتابه بأحسن كلام.

بالتالي يبيّن مواضع الحذف وما تزيده من جمال في تحديد معاني النّحو وفهم تركيبة بناء الجمل ضمن سياقاتها.

يقول في قوله تعالى:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[3]، "**(فإنّ لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسة** "[4].

نافلة القول المحذوف هنا كان إبراز للمعنى البلاغي وما يفيده–حذف الخبر– قوة وتأكيدا على دلالة الجملة.

ويذكر الزّمخشري في مواضع حذف المفعول نماذج تؤكد لما للحذف من مزية الدقة، نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى** ﴾[5]. وقد يأتي هذا النوع من الحذف على عدّة معاني منها العظمة، فمن أمثلة حذف المفعول للدلالة على العظمة، يقول في قوله تعالى:﴿**فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ**

[1]– الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 299.
[2]– القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية: 94.
[3]– الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 581.
[4]– المصدر نفسه، ص: 581.
[5]– المصدر نفسه، ج4، ص: 84.

مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[1]؛ أي"**ورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وعلمه مالا يكتتبه الذكر ولا يحيط به الوصف**"[2].

كما استشهد الزّمخشري على صدق حذف المفعول وبلوغ القصد إلى الفعل غير المعتمد، يقول في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[3]. "**ففي قوله(لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النّفس مما يقدم والثاني ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي إلى نفس تقدمه كأنه قيل:لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل**"[4]، كقوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾[5].

أما بالنسبة لحذف الجملة يشير الزّمخشري إلى مواقع الجملة المحذوفة مع أسرار حذفها "**فقد تحذف الجملة المعطوف عليها لظهور معناها ولسر بلاغي يتحدّد بتحدّد مقامات الكلام**"[6]، يقول في قوله تعالى:﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ**﴾[7]؛ إذن "**لو قلت فهلا قيل فضرب فانفجرت قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن إتباع الأمر**"[8].

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 177.

[2]- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، حسنين أبو موسى، ص: 335.

[3]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 554.

[4]- المصدر نفسه، ص: 554.

[5]- المصدر نفسه، ج4، ص:84.

[6]- المصدر نفسه، ج2، ص: 520.

[7]- المصدر نفسه، ص: 520-521.

[8]- المصدر نفسه، ج1، ص: 108.

وقد تحذف جملة الشرط وتدل عليها فاء الفصيحة التي لا تقع إلا في الكلام البليغ، يقول في قوله تعالى:﴿**فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ**﴾[1]. تم تفسير ذلك عند صاحب الكشاف"**الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ**"[2].

خلاصة القول التحليل النّحوي في الكشاف من خلال معالجته للآيات القرآنية معنا ونحوا ولغة، السّياق هو الذي يُلزم العلم بقواعد النحو، كمدى بلاغة الحذف لتوجيه المعنى في النّحو فقد أصبح تظافر الدلالات مع الدلالة النحوية يتيح اكتشاف المعنى وفهم كتاب الله.

بالإضافة أنّ الدلالات الناتجة عن ظاهرة التقديم والتأخير تمكن من تقصّي المقاصد اللاّبد استخلاصها من ترتيب التراكيب اللغوية.

6-تظافر النّحو والدلالة في خدمة السيّاق

دراسة معنى الكلمة يحتاج إلى تحديد علاقاتها النّحوية مع عناصر الجملة والسّياق النّصي الذي وردت فيه، فسلامة ثبوت دلالة المفردات مرهونة بسلامة ثبوت صحة النّحو إذ أنّ تعلّق النّص القرآني بالقارئ يمكّنه من فهم الظواهر النّحوية وبالتالي الوصول للمعنى وخدمة السّياق لإزالة الغموض واللّبس عنه.

إنّ اتحاد كلّ من النّحو **Grammer** والدلالة **Semantics** لخدمة السّياق بمثابة مكملات تأكيد المعنى وثباته حسب سياق القول الذي قيلت فيه، فاشتراك بعض الوظائف النحوية في علامة إعرابية أو اختلاف يؤدي لاختلاف القراءات ومن ثمّ اختلاف الدّلالات لما يحتّمه السّياق، قال تعالى: ﴿**وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 520.
[2]- المصدر نفسه، ص: 108.

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

مما تقدّم **"فقد قرأ عاصم وحمزة بالجر(وقيلِه)، وقرأ الباقون بالنصب(وقيلَه) وقرأ بعضهم بالرّفع(وقيلُه)"[2].**

مما سبق قدّم المفسر جار الله الزّمخشري قراءة بالجر(وقيلِه) **"قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النّصب عن الأخفش أنه حمله على: أن يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله، وعنه: وقال قيله. وعطفه الزجاج على محل الساعة، كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا، وحمل الجرّ على لفظ الساعة، والرّفع على الإبتداء، والخبر ما بعده وجوّز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف. معنى ذلك: وعنده علم الساعة وعلى قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى، أما قوله: إنّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنونَ جواب قسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله يارب، أو وقيله يا رب قسمي إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون"[3].**

بالتالي يعتمد الزمخشري على رأي المفسرين، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[4]**. هنا **"قرئ (زين) على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم، ونصب:(قتل أولادهم) وزين، على البناء للمفعول الذي هو القتل، ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دلّ عليه زين، كأنه قيل: لمّا قيل: (زين لهم) قتل أولادهم منْ زينه؟**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 460-461.

[2]- ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، مرا: علي محمد الضّباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، ص: 370.

[3]- الكشاف، الزمخشري، ج5، ص: 460-461.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص: 401.

فقيل: زينه شركاؤهم، وأما قراءة ابن عامر: (قتلُ أولاَدهم شركائِهم) برفع القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف"[1]. ومنه يكونوا هم الذين زينوا.

كما وذكر الزمخشري وجوه قراءتي (**الريح**) بالنصب، الرفع في قوله تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾[2]. **"فيمن نصب: ولسليمان الريح مسخرة، فيمن رفع، وكذلك فيمن قرأ: الرياح بالرفع أي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها"**[3].

أما في اختلاف قراءة الآية في قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[4]. يقول الزمخشري في قراءتها **"قرأت: ملك يوم الدين، ومالك، وملك بتخفيف اللام، وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: مَلكَ يومَ الدين، بلفظ الفعل ونصب اليوم. أما أبو هريرة رضي الله عنه قرأ: مالكَ بالنّصب، وغيره قرأها: مَلَكَ، وهو نصب على المدح، وملك: هو الاختيار، ويوم الدين: يوم الجزاء"**[5].

استنادا إلى ما سبق هذه الأوصاف المتغيرة في طريقة القراءة ترقى إلى تغير المعنى وعدم ثباته كأن يكون ملك للأمور كلّها وغير ذلك من المعاني، فهي بدلالاتها المتنوعة تعود على الله سبحانه وتعالى بأن لا شيء يخرج عن قدرته وربوبيته كونه منزه من جميع النقائص وبيده ملكوت كل شيء.

وفي مقام سياق آخر قال تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 401.
[2]- المصدر نفسه، ج5، ص: 110.
[3]- المصدر نفسه، ص: 111.
[4]- القرآن الكريم، سورة الفاتحة، الآية: 04.
[5]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 116-117.

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1]. من هنا **"قرأت بنصب (البرَّ) وقرأها الباقون بالرفع فعلى النّصب يكون البر خبرًا لليس مقدّمًا، ويكون (أن تولو) مصدرا مؤولا اسما ليس، المعنى: ليست توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كله أما على الرفع يكون (البرُّ) اسما لليس والمصدر المؤول لها والمعنى: ليس البر كله توليتكم"**[2].

وفي موضع آخر جاءت كلمة البر مرفوعة في قوله تعالى: **﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[3]. فتمت قراءتها عند الزمخشري**"(وليس البرَّ) بالنصب على أنه خبر مقدّم، وقرأ عبد الله: بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك: ليس المنطلق بزيد: ولكنَّ البرَّ منْ آمن بالله على تأويل حذف المضاف، أي برّ من آمن، أو يتأول البرّ بمعنى ذي البرّ، وعن المبرّد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت: ولكن البَرّ بفتح الباء"**[4].

وكما كان للكلمة موقف إعرابي وبيان لمعناها فقد حظيت الآية هي الأخرى بإعراب لتحديد معناها وبيان سر النص القرآني. قوله تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**[5]. وعليه **"قرئ بالنصب عطفا على (أن يأتي)، وبالرفع على أنه كلام مبتدأ؛ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، وقرئ(يقول): بغير واو وافتراض أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا، معنى ما سبق ذكره: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واعتباطا بما منَّ عليهم من التوفيق في الإخلاص"**[6].

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص: 361-362.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 362.

[3]- المصدر نفسه، ص: 393.

[4]- المصدر نفسه، ص: 394-395.

[5]- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 53.

[6]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 251.

من هذا المنطلق اعتمد الزمخشري إيراد جميع القراءات النحوية لبلوغ الدلالة النّحوية في ذلك مع البرهان على اختلاف أساليب القراءة، واعتماد أسلوب الفنقلة لتبيان المعنى التي عدت ميزة خاصة في كتابه لبيان إعجاز القرآن وأسراره.

أما في ما يخص تعمقه في شرح الحالات الإعرابية المتعلق بالمعنى الذي يجبر عليه السيّاق للوقوف على الدّلالات المحتملة، قوله في قوله تعالى: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**﴾[1]. في الآية الكريمة اختلاف في قراءة(خلق) التي تتيح تعدّدا في المعنى:

1- قرأت خَلقُ بالفتح، المعنى يكون ما جئت به اختلاف الأوّلين، وتخرّصهم، كما قالوا: أساطير الأوّلين، أو ما خلقنا هذا إلاّ خلق القرون الخالية، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب.

2- قرأت خُلُقُ، أي ما هذا الذي نحن عليه من الدّين إلا خلق الأوّلين وعادتهم، وكانوا يدينونه ويعتقدونه، ونحن بهم مقتدون، بعبارة أخرى ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلاّ عادة لم يزل عليها النّاس في قديم الدّهر[2].

وانطلاقا ممّا سلف الظّواهر اللغوية الواردة في آي الذكر الحكيم التي تناولها الزّمخشري في كشافه، تغيرات تلفت انتباه القارئ لتزيده شغف البحث عن مثيراتها السياقية وما انظل فيها من دلالات وتأويلات للمعنى، نحو قوله تعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[3]. وعليه " **ذكر مفعول الوعد في (وعدنا) إلى حذفه في(وعدكم)، إذ لو جرى السّياق على نمط واحد لقيل: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم،**

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 407.
[2]- المصدر نفسه، ص: 408-409.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 444.

هنا الزّمخشري يؤوّل تفسيرَها قائلا: فإن قلت: هلا قيل: (ما وعدكم ربكم)، كما قيل: (ما وعدنا عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد من البعث، والحساب والثواب والعقاب، وسائر أحوال القيامة"[1].

ومنه قوله تعالى أيضا: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ**﴾[2]، جاءت عبارة "**(والسارق والسّارقة)رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند عند سيبويه، كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالإبتداء والخبر، (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، وفضلها سيبويه على قراءة العامّة لأجل الأمر لأنّ(زيدًا فاضربه) أحسن من(زيد فاضربه)"**[3].

نتوصل إلى أنّ الدلالة مقيّدة بمجموع العلاقات النّحوية الحاصلة بين الكلمات سيما أن حديثنا فيما سبق انصب في قالب تغير الحركات الإعرابية واختلاف قراءاتها ما يؤدي إلى اختلاف معاني المفردات القرآنية.

[1]- الكشاف، الزمخشري، ج2، ص: 445.
[2]- المصدر نفسه، ص: 233.
[3]- المصدر نفسه، ص: 234.

خاتمة

الخاتمة

بعد هذا الطواف المعرفي وما تيسر لنا منه، كانت محاولة منا لتحديد أثر السياق في ترجيح دلالة النّص لدى الزّمخشري-الكشاف أنموذجا-، ومن خلال ما تم التعرض إليه في هذا البحث المتواضع يمكن أن نوجز أهم النتائج والملاحظات على النّحو الآتي:

- يمتلك السياق أهمية كبيرة في تبيان المعاني، يقوم على معطيات لغوية وغير لغوية في إنتاج التراكيب اللغوية، أي يغذي المتلقي بآليات فهم النص واستيعابه.
- تحديد دلالة الكلمة أو الجملة مرهون بالسياق فهو دليل المعاني الواردة في مقامات الكلام لكشف معاني اللفظة.
- اهتم العلماء العرب والغرب بالسِّياق وذلك واضح في بحوثهم ومؤلفاتهم لإزالة الغموض ومدى ارتباط الكلمة بمجموع السّياقات.
- تنوعت مفاهيم الدلالة لدى علماء العرب، أمثال الفرابي والغزالي وغيرهم الذين كانت لهم أعمال فذّة في ميدان علم الدّلالة.
- ارتباط النحو والدلالة يساهم في تكوين المعنى، فالنحو كان ولا يزال هدفه الأول هو المعنى بدليل أنه وضع لفهم القرآن حتى بلغ الأمر بالقدماء أن سموه قرآن النّحو.
- يركز علم النّحو على دراسة أحوال أواخر الكلم في البناء والإعراب وإبانة قصد الكلام فكل علم يخص كل العلوم بدون استثناء.
- لا تملك اللفظة قصدا وبلاغة إلاّ بربطها مع قبلها وبعدها في سياق معين للتمكن من الوقوف على دلالتها.
- فهم النص القرآني لا يتم إلا بالنظر له كوحدة سياقية مترابطة، سيما أن آياته تفسر بعضها بعضا.

- علم مناسبة الكلام في آي الذكر الحكيم ذو أهمية بالغة في ترجيح معانيه من خلال اتساق وانسجام الآيات الكريمة.
- إنّ محاولة فهم معاني القرآن يكشف مدى إعجازه وأسراره الإبلاغية، فقد ارتبطت البلاغة بالقرآن لكونها أداة كشف إعجازه وتأسيس نظريات نقدية حول اختلاف تأويلاته المختلفة عند أهل الذكر.
- اعتمد الزمخشري في جمع مادته اللغوية من الكتب والأعلام وكان نقله نقلا حرفيا أو نقلا بالمعنى فقط.
- عرض في كشافه الظواهر اللغوية المتعلقة بتطور الدلالات التي انصبت على المفردات القرآنية عنده.
- ركّز الزمخشري على التطور الدلالي بجميع أشكاله تعميما وتخصيصا، فقد عالج معاني المفردات القرآنية حسب ما يراه مناسبا ويتناسب مع تفكيره واعتقاده.
- اختلاف اللغات سواء على مستوى بنية المفردات والاختلاف في الدلالة جعل من اختلاف الحقول الدلالية في كتاب الله عزّ وجل بين تتعدد وتتلاحم.
- اعتماده على شواهد الأساليب التركيبية كالحذف والتقديم والتأخير لتحصيل المعنى وتحقيق ثبوته في السياق الذي يكون فيه.
- اعتماده لعلمي البيان والبديع يزيد العبارة جمالا ورونقا يمكننا من التذوق الجمالي لمعاني السور القرآنية وإبانة المضمون التأثيري لإنتاج دلالة من خلال التفاعل النصي.

وخير كلام نختم به أهم النقاط المتوصل إليها، قول يكون مَغْلَقًا لمُفْتَتَحٍ ما قال العماد الأصفهاني:

"أنّه ما كَتَبَ أحدُهُم في يومِه كتابًا إلاَّ قالَ في غَدهِ، لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ولو زُيِّدَ ذاك لكان يُستحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ لكان أجمل، وهذا من أعظمِ العِبر، وهو دليلٌ على استيلاء النّقصِ على جُملةِ البَشر".

الملحق

1- صاحب الكشاف

محمد بن عمر الزّمخشري المولود في 467هـ-1075م والمتوفى ب 538هـ-1144م، اسمه أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري الخوارزمي ويلقب ب"جار الله"؛ لأنه جاور مكة زمنا.

2- مؤلفاته

أ- في الدراسات الاسلامية

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
- رؤوس المسائل(في الفقه)
- المنهاج في الأصول وغيرها.

ب- في اللغة

- الفائق في غريب الحديث
- جواهر اللغة
- الجبال والأمكنة والمياه وغيرها.

ت- في النّحو

- المفصل
- مقدمة الأدب
- الأمالي في الأدب وغيرها.

ث- في الأدب

- ديوان خطب
- ديوان الرسائل
- رسالة الأسرار وغيرها.

ج- في العروض

- القسطاس

كانت هذه بعض مؤلفات الزمخشري وإن دلت على شيء تدل حياته الحيوية النشطة في الإنتاج.

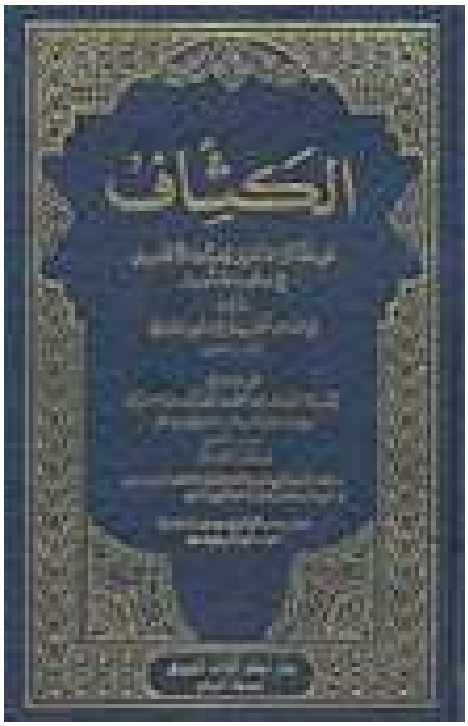

الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

الجزء الرابع

قائمة المصادر

والمـراجع

-القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

1- المصادر:

1- إحصاء العلوم، الفرابي، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، 1991م.

2- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، دار الأفاق العربية، القاهرة، دط، 2003م.

3- الألسنية التّوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، زكريا ميشال، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ-1986م.

4- الألسنية علم اللغة الحديث ، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983م.

5- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

6- الإيضاح في مختار الصحاح، عبد الله أحمد جاد مختار، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.

7- تاج العروس، محمد مرتضي الزبيدي،ج25، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007م.

8- التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، دط، 1997م.

9- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ج13، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرّياض، دط، 1423هـ-2003م.

10- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986م.

11- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط1 ، 1969م.

12- شرح المفصل، ابن يعيش، ج1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط1، دت.

13- ظاهرة الإعراب في النّحو العربي، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1981م.

14- علم الدلالة العربي النّظرية والتطبيق(دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية)، فايز الداية، دار الفكر، ط2، بيروت-لبنان، 1996.

15- علم الدلالة العربي بين النّظرية والتطبيق، د/ فايز الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق-سورية، ط2، 1996م.

16- علم الدلالة عند العرب، عادل فخوري، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985م.

17- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

18- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001 م.

19- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د/محمد أحمد قاسم ود/محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003م.

20- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

21- في النحو العربي نقد توجيه، مهدي المخزومي، دار المنشورات الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.

22- الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج5، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م.

23- لسان العرب،ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 1863م.

24- اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، أحمد المتوكل ، دار الأمان، الرباط.

25- المصطلحات البلاغية والنقدية، أبي هلال العسكري، دار دجلة، عمان- الأردن، ط1، 2015م.

26- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين،تونس، دط، 1986م.

27- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2.

28- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، بيروت، ط4، 2004م.

29- المعنى والنحو، عبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1423هـ-2006م

30- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ج2، تح: المستشرق كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، مجلد1، 1996م.

31- من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية وظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987م.

32- من قضايا النحو واللغة، إيميل بديع يعقوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ط1، 2009م.

33- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980م.

34- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء-المغرب، دط، 1979.

35- الموسوعة العربية الميسّرة ، أبناء شريف الأنصاري، مج:7، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1، 2001م.

36- النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ ، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983م.

37- الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2005م.

38- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م.

2- المراجع

1- إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.

2- الأضداد، أبو البركات الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، دط، 1407هـ-1987م.

3- الإيضاح في علوم النحو، أبي القاسم الزجاجي، تح: د/ مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هـ-1979م.

4- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ، تح: عبد القادر عبد الله المعاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، 1413هـ-1992م.

5- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د/ محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

6- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، باب البيان تح: علي أبو ملجم، دار الهلال، بيروت، ط1، 1988م.

7- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، تح: المحامي فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م.

8- تفسير الجلالين للقرآن الكريم، جلال الدين محمد بن أحمد، مرا: عبد العزيز سيد الأهل، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، دط، دت.

9- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، دت.

10- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة القاهرة، ط2، 1989م.

11- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: دكتور كمال محمد بشر، دار غريب للنشر، دط، 1835.

12- الرّسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، دط، دت.

13- علم اللغة العام، فيرديناند دوسوسير، تر: ديوئيل يوسف عزيز، العراق، بيت الموصل، 1988م.

14- العوامل المئة النحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاني، تح: زهران البدراوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.

15- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تح: د/ شمران سركال يونس العجليّ، المجلد الأول، دار القبلة للثقافة الأسلامية، جدّة-بيروت.

16- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترجمة ومراجعة إسلام سلوم وآخرون، مكتبة لبنان، ط1، 2004م.

17- كتاب سيبويه، سيبويه، ج1، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

18- كشاف اصطلاحات الفنون، التهناوي، تح: رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط1، 1996م.

19- اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط2، 2010م.

20- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.

21- اللغة، جون فندريس، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.

22- مدخل إلى علم الدلالة، سالم شاكر، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م.

23- معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

24- مقاييس اللغة، لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا،ج6، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط.

25- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، مرا: علي محمد الضّباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت.

3- الأطروحات:

1- أثر السياق اللغوي في توجيه معنى النص، فضيلة خضار، مخطوط ماستر، تخصص: علوم اللغة العربية، إشراف: أ/هاني بوعسلة، القسم:اللغة والأدب العربي، جامعة:العربي بن مهيدي، ولاية: أم البواقي، الجزائر، السنة: 2011-2012.

2- دلالة السياق في النّص القرآني، علي حميد خضيّر، أطروحة لنيل درجة الماجستير، تخصص: اللغة العربية وآدابها، إشراف: د/عبد الإله الصائغ، كلية: الآداب والتربية الأكاديمية العربية، الدنمارك، 2014م.

3- السياق ودوره في استنباط الأحكام النقدية التراثية، مراد حاج محند، أطروحة لنيل درجة الماجستير، تخصّص: لغة وأدب عربي، إشراف: أ/د مصطفى درواش، كلية: الآداب واللغات، تيزي وزو، 2012م.

4- المراجع الأجنبية:

1- Jean dubois , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, larousse 2éme edition, 1999.

فهرس المحتويات

الفهرس

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة .....(أ–ب–ج)

الفصل الأول: السّياق ودلالة النّص

1– السّياق .....(**5–17**)

أ– مفهوم السّياق .....(5–8)

ب– أقسام السّياق .....(8–11)

ج– السّياق عند العلماء العرب .....(11–16)

د– السياق عند العلماء الغرب .....(16–17)

2– الدّلالة .....(**17–33**)

أ– مفهوم الدّلالة .....(18–24)

ب– أنواع الدّلالات .....(24–26)

ج– الدلالة عند العرب .....(26–32)

د– العلاقة بين النّحو والدلالة .....(32–33)

3– النّحو .....(**33–38**)

أ– مفهوم النحو .....(33–36)

ب– موضوعه .....(36–37)

ج– أهميته .....(37–38)

د– فوائده .....(38)

الفهرس المحتويات

4-تظافر عناصر النّص .....(38-43)

5-القصدية والإبلاغية.....(44-45)

الفصل الثاني: أثر السياق في ترجيح دلالة النّص

1-السياق لدى الزمخشري.....(47-51)

2-أنماط السياق لدى الزمخشري.....(51-57)

3-الدلالة لدى الزمخشري.....(57-70)

4-النحو في الكشاف.....(71-80)

6-تظافر النحو والدلالة في خدمة السياق.....(80-85)

خاتمة .....(87-88)

الملحق .....(90-91)

قائمة المصادر والمراجع .....(93-98)

الفهرس

الملخص

ملخص:

يعدّ السّياق الركيزة الأساسية لعلم الدّلالة والنّحو، فالمدقق لكتب التراث يتضّح له التأسيس التأصيلي المعرفي للسّياق لديهم سواء كانوا علماء الفقه واللغة أو المفسرين، من هنا الزّمخشري واحد من العلماء الذّين خلّفوا وراءهم مصنفات كانت وما زالت تراثا معرفيا في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه وبيان معانيه، وانطلاقا من تفسير الكشاف يتبين ما للقرآن من ثروة لغوية، بلاغية، نحوية.

الكلمات المفتاحية:

السيّاق، الدلالة، النّحو، المعنى، الكشاف، الإعجاز القرآني، الزّمخشري.

Résumé:

The context is deemed the fundamental pillar of semantics and grammar and it becomes clear to any examiner of heritage books, whether they are a scholar of Islamic jurisprudence, a linguist or an interpreter of Quran meaning that context is fundamental in establishing knowledge. Elzamakhshari, one of the scholars who left behind works that were and are still a heritage of knowledge in interpreting the Quran, revealing its miracles and clarifying its meaning, showed through his Tafsir Al-Kashshaaf that Quran is linguistically, rhetorically and grammatically rich.